

لغز ملك الشطرنج



محمود سالم

لغز ملك الشطرنج

تأليف
محمود سالم



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٤١١ ٤

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة هنداوي.

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، ومن ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Copyright © 2021 Hindawi Foundation.

All rights reserved.

المحتويات

٧	كش ملك
١٣	البحث عن «م. ش»
١٩	الشيء الغامض
٢٥	ملك الشطرنج
٣١	اللغز
٣٧	الأسود والأبيض
٤٣	خطة مدهشة
٤٩	في الوقت المناسب

كش ملك

كانت «نوسة» هي التي بدأت الهواية التي شغلت الأصدقاء بعد ذلك شهوً طويلاً؛ هواية لعبة الشطرنج. فقد تابعت «نوسة» المباراة العالمية التي جرت بين «فيشر» الأمريكي و«سباسكي» الروسي في الجرائد، تلك المباراة التي استمرت أياماً طويلة بين بطل العالم الروسي ومنتحديه الأمريكي، واهتم بها العالم كله. وكانت «نوسة» — وهي أكثر المغامرين الخمسة حباً للقراءة — تتابع أخبار المباراة بشغف بدون أن يكون عندها معرفة بلعبة الشطرنج ... فقررت أن تتعلم اللعبة لعلها تعرف كيف لعب البطلان الروسي والأمريكي ... وكيف كانا ينقلان قطع الشطرنج في خطط محكمة في محاولة لأن يهزم أحدهما الآخر. وأسرت «نوسة» بشراء كتاب «كيف تتعلم الشطرنج»، ثم اشترت رقعة شطرنج ومعها القطع الخاصة بها ... ولما كانت لعبة الشطرنج كباقي الألعاب تحتاج إلى شخصين أو أكثر ليلعباها، فقد حاولت أن تُشرك معها شقيقها «محب»، لكن «محب» الذي يحب الحركة بطبيعته كان ضيق الصدر بالجلوس ساعات طويلة أمام الرقعة يحاول أن يتعلم كيف ينقل الحصان أو كيف يستخدم الطابية استخداماً صحيحاً ... فلجأت «نوسة» إلى «تختخ» الذي رُحِبَ بالفكرة. وسرعان ما كان الأصدقاء الخمسة مُنهمكين جميعاً في اللعب ... كان اثنان منهم يلعبان في حين يقوم الثلاثة الباقون بالتشجيع ... وكانت المباريات تأخذ طابعاً حماسياً، وبخاصة عندما تصل الأدوار إلى نهايتها ... ويحاصر أحد اللاعبين الملك ... وهو القطعة التي يحاول كلٌّ من الطرفين القضاء عليها، أو بتعبير اللاعبين ... يأكله ... فيُنهي المباراة لمصلحته.

كانت الأصوات ترتفع ... انقل الفيل ... هنا ... اهجم بالوزير ... هات العسكري هنا ... وكان «تختخ» يصيح: أرجوكم ... إن لعبة الشطرنج أكثر لعبة تحتاج إلى الهدوء وتركيز الذهن ... وبهذا الصياح لن نستطيع إتقان اللعبة!

ولكن اعتراض «تختخ» كان يذهب سُدى ... فقد كانت الصيحات ترتفع والتشجيع يستمر ويضيع صوته في الأصوات المتصارعة.

وشياً فشيئاً تحولت لقاءات الأصدقاء في أثناء الإجازة إلى مباريات في الشطرنج؛ فقد أحبها الجميع وتحمَّسوا لها، ولا سيما بعد أن عرفوا أنها تساعد على تركيز الذهن وبُعد النظر؛ لأن كل لعبة فيها تؤدي إلى آثار بعيدة في المباراة أكثر من أي لعبة أخرى.

وذاث يوم قرر الأصدقاء أن ينسوا لعبة الشطرنج، ويخرجوا إلى النزهة في مكان بعيد ... فاستيقظوا مبكرين، وركبوا دراجاتهم، وأخذوا «زنجر» معهم، ثم انطلقوا إلى حلوان ... كانت الساعة التاسعة عندما وصلوا إلى الحديقة اليابانية، فوضعوا دراجاتهم جانباً، ثم أخذوا يجرّون ويقفزون هنا وهناك ... وبعد أن استمتعوا باللعب جلسوا في الحديقة الهادئة يتحدثون ... وقالت «لوزة» ضاحكة: لو كان معنا رقعة الشطرنج للعبنا دوراً الآن! ولم تك «لوزة» تنتهي من جملتها حتى كانت في انتظارهم مفاجأة، فقد فتحت «نوسة» حقيبتها وأخرجت رقعة الشطرنج ... وصفق الأصدقاء مسرورين وهم يُحيون «نوسة»، وسرعان ما اجتمعوا حول الرقعة يتابعون مباراة حامية بين «نوسة» و«عاطف». كان «عاطف» المرح يحب اللعب بطريقة هجومية ... يتبعها بسيل من الكلمات اللاذعة: لقد وقعت يا «نوسة» ... لا داعي للمقاومة ... لقد سقطت القلعة، وسيموت الملك! كانت «نوسة» هادئة الأعصاب لا تؤثر فيها كلمات «عاطف» الذي يحاول أن يجعلها ترتبك وتفقد الثقة بنفسها ... أو كما يقولون كان «عاطف» يشنُّ على «نوسة» نوعاً من الحرب النفسية، وهي الحرب التي تُحاول التأثير في عزيمة الخصم وتزعزع ثقته بنفسه ... كانت «نوسة» صامدة تحرك قطعها بحساب ... وتفكر عشر مرات قبل أن تأخذ قراراً في اللعب ... فكان هدوءها يثير «عاطف» فيزيد من هجومه.

انشغل الأصدقاء الخمسة باللعب ... ووقف «زنجر» معهم يتطلّع إلى ما يجري أمامه في حسرة ... كيف يترك الأصدقاء الجري والقفز إلى هذه الرقعة المقسّمة إلى مربعات والتي لا يفهم هو فيها شيئاً؟!

كان الأصدقاء مُستغرقين تماماً في اللعب، فلم يَلْتَفِتُوا إلى رجل كان يجلس غير بعيد عنهم يرقبهم في صمت.

كان متوسط العمر ... طويلاً، مفتول العضلات ... يرتدي ثياباً أنيقة مكوَّنة من قميص أزرق مرفوع الأكمام، وبنطلون رمادي، وفي رجليه حذاء خفيف ... ويمسك بيده عصا، وعلى عينيه نظارة شمس ... ويضع بين أسنانه «بايب» يدخنها باستمرار.

ظلَّ الغريب يرقب الأصدقاء ويستمتع إليهم ... حتى إذا احتدم النقاش بينهم قام في هدوء ثم اقترب منهم حتى وقف بجوارهم بدون أن يشعروا به وأخذ يُراقب اللعب. كان هناك خلاف بين «نوسة» و«عاطف» حول حركة فنية قام بها «عاطف» بالوزير — وهو أهم قطعة في الشطرنج — وأصبح الوزير محصورًا، وتستطيع «نوسة» أن تأكله ... و«عاطف» ثائر يريد أن يتراجع في الحركة التي قام بها ... وبينما هما كذلك والأصدقاء بين مؤيد ومعارض لـ «عاطف» امتدت يد الرجل الغريب وحركت الوزير حركة أبعدته عن الخطر!

ونذهل الأصدقاء لحظات، ثم رفعوا وجوههم إلى صاحب اليد التي امتدت وأنقذت الوزير، وشاهدوا الرجل الأنيق يبتسم قائلاً: لقد كان من السهل إنقاذ الوزير بدون خناقة! كانت الحركة التي قام بها بارعة حقًا أدهشت الأصدقاء، فلما تحدث إليهم زاد إعجابهم بصوته القوي فقال: معذرة لتدخلني ... ولكني مثلكم من هواة الشطرنج ... ولكنني للأسف لا أمارس اللعب الآن.

وأفسح له الأصدقاء مكانًا، وقال «تختخ»: تفضّل بالجلوس معنا ... إننا ما زلنا نتعلم اللعب، ويسرنا حقًا أن نلتقي بمن يجيد اللعب مثلك ... التفت الرجل حوله ثم جلس قائلاً: إن لعبة الشطرنج من أمتع الألعاب المسلية ... وهي اللعبة الوحيدة التي لا تعتمد على الحظ ... إنها تعتمد على مهارة اللاعب وقدرته على أن يحسب نتائج كل لعبة مقدمًا ... وبعض اللاعبين يستطيع أن يحسب خمس أو ستّ لعبات مقدمًا ... فكلّ لعبة في الشطرنج لا بد أن ترتبط بما قبلها وبما بعدها.

قال «تختخ»: نعرفك بأنفسنا أولاً ... هذه «لوزة» وشقيقها «عاطف»، وهذه «نوسة» وشقيقها «محب»، ثم أنا «توفيق» وهذا صديقنا الكلب «زنجر»!

قال الغريب وهو يحييهم واحدًا واحدًا: وأنا «مراد»! تختخ: إننا نسكن في المعادي ... ونُسَمِّي أنفسنا المغامرين الخمسة، ونحب الألغاز وكشف الأسرار.

لم يردَّ الغريب لحظات، ثم قال: من المدهش أننا نسكن في الحي نفسه؛ فأنا أيضًا أسكن المعادي.

لوزة: مدهش جدًا ... سوف نصبح جميعًا تلاميذك في لعبة الشطرنج! مراد: إنَّ هذا يُسعدني جدًا ... فمن فترة طويلة لم يعد لي أصدقاء! نطقَّ الغريب بهذه الجملة، وبدا كأنه ندم عليها، فعاد يقول مُسرعًا: أقصد أنني أعيش وحيدًا أغلب الوقت!

تختخ: هل تسكن في المعادي منذ فترة طويلة؟
مراد: لقد سكنتُ فيها منذ ثلاثين عامًا ... ثم غبتُ عنها فترة، وعدتُ أسكن فيها مرة أخرى بعد أن اشتريتُ فيلا صغيرة أقيم فيها، وعندني حديقة واسعة أهتمُّ بزراعتها؛ فأنا من هواة زرع الحدائق، وهي هوايتي الثانية بعد لعب الشطرنج!

نوسة: وهل تعلمت الشطرنج وأنت صغير؟
مراد: نعم ... ولكنني أجدته في مكان ... وصمت الغريب مرةً أخرى، ثم عاد يقول:
أُتيحت لي فرصة أن أنفرد بنفسي فترة طويلة حيث قضيت أغلب وقتي ألعب مع نفسي!
عاطف: تلعب مع نفسك؟!

مراد: هذا ممكن في الشطرنج؛ ففي إمكانك أن تلعب لعبة بالأبيض ثم ترد عليها لعبة بالأسود!

عاطف: معنى هذا أن يهزم الإنسان نفسه!
مراد: أو ينتصر على نفسه.
نوسة: إنَّ هذا أشبه بحوار الفلاسفة!
مراد: تعالوا نعد إلى لعبة الشطرنج، ونرى ماذا تفعلون وكيف تلعبون ...
وانهمك الأصدقاء مرةً أخرى في اللعب، وجلس «مراد» يتفرَّج وهو يوجههم، ويعرف نهاية المباراة متى تأتي وكيف، ويشرح لهم أسرار اللعبة. كان ماهراً جداً ... يُجيد النقلات ويستنتج.

وفجأة رآه الأصدقاء ينظر بعيداً ... ثم يقوم مسرعاً فيسحب عصاه ويودّعهم في كلمات سريعة مضطربة، ويغادرهم ويختفي كأنه شبح لم يعد له وجود.
أخذ الأصدقاء يتلفتون حولهم بدون أن يجدوا أثراً للرجل ... وكان أول من أفاق من دهشته «محب» الذي قال: أين هو؟ شيء غريب!
قال «عاطف»: إنه لم يكن موجوداً ... لقد كان مجرد حلم!
تختخ: هل لاحظتم نظراته؟ ... لقد كان ينظر بعيداً بين فترة وأخرى كأنه ينتظر أحداً!

نوسة: أو يخشى أحداً!
تختخ: بالضبط لقد كان مضطرباً جداً وهو يغادرنا!
لوزة: إنه رجل لطيف حقاً ... ولا أدري لماذا بدا خائفاً هكذا!
نوسة: من المؤسف أننا لم نأخذ عنوانه حتى نزوره ... لقد شغلنا الحديث في اللعب عن سؤاله! وسكت الأصدقاء. وكلُّ منهم يفكر في الرجل الغريب! كيف حضر؟ ... كيف اختفى؟

... وشيئاً فشيئاً عادوا إلى اللعب ... ونسوا ما حدث ... وعندما جاء موعد الغداء أخرجوا «الساندوتشات» التي أعدوها. وانهمكوا في الأكل وهم يتبادلون الأحاديث والضحكات ... وعندما بدأت الشمس تميل إلى الغروب أخذوا يجمعون حاجياتهم استعداداً للرحيل. وعندما كانت «نوسة» تميل على الأرض لتأخذ بعض أشياءها شاهدت منديلاً أبيض مُلقًى تحت أحد المقاعد ... وعندما أمسكته ونظرت فيه بدا غريباً عليها، ولكنها عرضته على كل الأصدقاء، فقالوا إنه لا يخصُّهم ... وفردت «نوسة» المنديل وشاهدت عليه حرفين مطرزين باللون الأزرق «م. ش»، وتدكَّرت الرجل الغريب ... كان اسمه «مراد» ولا شك أن هذا منديله!

البحث عن «م. ش»

عندما اجتمع الأصدقاء في صباح اليوم التالي في حديقة «عاطف» كالمعتاد، كان عندهم عمل ظريف، وهو البحث عن «مراد» أو «م. ش»؛ فقد وافقوا جميعاً على صحة استنتاج «نوسة» بأن المندبل يخص «مراد»، وأنه أحسن وسيلة للبحث عنه في المعادي الواسعة.

قال «عاطف» معلقاً: إن حرفي «م. ش» معناهما «مش»، وهو طعام لذيذ موجود في البلايص ... فتعالوا: نبحث عن «مراد» هذا في بلاص، وسوف نجدّه.

هزّت «لوزة» شقيقته رأسها قائلة: إنك أحسن واحد يُجيد القفز بيننا، عليك بالقفز داخل بلاص المش للبحث عنه ... فاذهب أنت إلى هذه المغامرة!

نوسة: لا داعي لإضاعة الوقت في تبادل الكلمات، وتعالوا نفكر كيف نعثر على رجل نعرف اسمه، ونعرف شكله ... ولا نعرف مكانه.

محب: هناك الوسائل العادية للبحث عنه ... دليل التليفونات ... وسؤال قسم الشرطة والبوابين والكناسين وغيرهم ممن تتصل أعمالهم بحياة الناس.

تختخ: ألا نسأل أنفسنا أولاً لماذا نبحث عنه؟!

لوزة: لأن خلفه لغزاً!

تختخ: أي لغز؟

لوزة: لغز أنه اختفى فجأة كما ظهر فجأة!

تختخ: أليس حراً في أن يظهر ويختفي كما يشاء؟

لوزة: مع غيرنا ... أما معنا فلا بد أن يظهر بسبب ويختفي بسبب، وقد عرفنا لماذا

ظهر، وبقي أن نعرف لماذا اختفى!

محب: وهذا على كل حالة تسلية ظريفة، بالإضافة إلى أنه لاعب ماهر في الشطرنج

نريد أن نتلمذ عليه!

هز «تختخ» رأسه قائلاً: لا بأس، فلنبحث عنه ... هاتي يا «لوزة» دليل التليفون، لنبحث عن اسمه!

عاطف: إننا لا نعرف سوى نصف اسمه!

تختخ: لقد بحثنا قبل الآن عن أشخاص لا نعرف أسماءهم ولا أشكالهم. وهذه المرة عندنا نصف اسم، وحرف من النصف الآخر، وشكل الشخص، فإذا لم نصل إليه فلنُسَمِّ أنفسنا الأغبياء الخمسة لا المغامرين الخمسة!

وجاءت «لوزة» بدفتر التليفونات، وبدءوا يبحثون. كان هناك ١٢٥ مشتركاً في الدليل اسمهم «مراد»، ٤ منهم فقط من سكان المعادي ... وليس بين الأربعة من اسمه الثاني يبدأ بحرف الشين.

استطاع الأصدقاء في دقائق قليلة الحصول على هذه المعلومات من دفتر التليفون ... وصاح «محب» قائلاً: هل معنى ذلك أن «مراد» ش هذا ليس عنده تليفون؟ قال «تختخ»: هناك عدة احتمالات ... أولاً ألا يكون عنده تليفون فعلاً ... ثانياً أن يكون اسمه مكوناً من ثلاثة أسماء ... الثاني أو الثالث فيها أوله حرف «ش»، وهذا ليس موجوداً في الدليل، ثالثاً أن يكون التليفون ليس باسمه ولكن باسم الإنسان الذي يسكن عنده.

قالت «نوسة»: ولكنه قال لنا إنه اشترى فيلا ... معنى هذا أن التليفون الذي عنده يحمل اسمه.

عاطف: هناك احتمال رابع أن يكون رقم تليفونه سرياً؛ فبعض الناس يرفضون أن يظهر اسمهم في دليل التليفونات ويطلبون أن تكون أرقامهم سرية! محب: وقد يكون اشترى الفيلا من فترة قريبة وبها التليفون، ولم يُنقل التليفون إلى اسمه بعد!

لوزة: ومن الممكن أن يكون قد أدخل التليفون قريباً ولم يُسجل اسمه في دليل التليفونات بعد!

تختخ: لقد دخلنا في متاهة. فهذه ستة احتمالات، وربما كانت هناك احتمالات أخرى غابت عنا!

محب: وهناك احتمال قوي لم يخطر على بالنا، هو ألا يكون اسمه «مراد» على الإطلاق، كأن يكون مُختلفاً تحت اسم مُستعار لأسباب لا نعرفها!

تختخ: هذا احتمال قائم فعلاً، ولا سيما أنه كان يبدو مذعوراً وخائفاً، ولعلّه لهذا السبب يُخفي اسمه الحقيقي!

صَفَّقَتْ «لوزة» قائلة: ألم أقل لكم إنه لغز ... لقد أصبح لغزًا في عشر دقائق فقط من البحث!

محب: الواقع أنه لغز مدهش ... وقد أصبح علينا كمغامرين أن نجده!
تختخ: إذا لم يكن دليل التليفونات كافيًا للبحث عنه ... فمن أين نبدأ المرحلة الثانية؟
عاطف: نسأل الشاويش «فرقع»!
نوسة: إنك تريد أن تُعقِّد اللغز لا أن تحلّه، فإننا إذا سألنا الشاويش فسوف يتصوّر أن هناك جريمة، وأننا سنصل إلى حلّها قبله، فيطاردنا، وتصبح مهمتنا الهرب منه لا الاستعانة به.

تختخ: مرةً أخرى ... من أين نبدأ؟
عاطف: عندنا قدر من المعلومات لا بأس به؛ فهناك «مراد» طويل القامة أشيب الشعر، أنيق، يحمل عصًا، ويدخّن «الباب» ويُجيد لعب الشطرنج، وهو يسكن فيلا صغيرة تحيط بها حديقة كبيرة يعتني بها بنفسه ... وهو فوق كل هذا يسكن في المعادي ... أليس هذا كافيًا للعثور عليه؟

لوزة: هذه أول مرة نتحدّث فيها حديثًا معقولًا ومُفيدًا!
تختخ: هيا بنا!
وكأنما عرف «زنجر» — الذي كان يجلس طول الوقت مُتضايقًا من الحديث الذي لا ينتهي — أنهم سيجرّون، فأخذ يقفز على ركبتيّ «تختخ» كأن يقول له: لا تتركني! فقال: إنَّ عندنا أحسن طريقة للبحث عن «مراد»؛ فعندنا منديلٌ يحمل رائحة الرجل، وعندنا أنف «زنجر»!

صاح الأصدقاء: يا لنا من أغبياء! كيف لم نفكر في هذه الخطوة من قبل؟!
تختخ: على كل حال ... إنها ليست مؤكّدة المفعول، ولكننا سنحاول!
وانطلق الأصدقاء على دراجاتهم كلّ في طريقه، وقد اتفقوا جميعًا على اللقاء بعد ساعتين في المكان نفسه. وأخذ «تختخ» «زنجر» في السلة التي خلف دراجته، وانطلق مبتعدًا عن قلب المعادي المزدحم قائلاً لنفسه: إنَّ هذا الرجل الذي يُفضّل أن يعيش وحيدًا بعيدًا عن الناس وبلا أصدقاء لا بد أن يختار مكانًا بعيدًا عن الزحام ... فلنبحث بعيدًا ... وهكذا أخذ الطريق المؤدي إلى منطقة دجلة في المعادي، وهي منطقة بعيدة ساكنة.
كانت عيناه تبحثان عن الفيلا التي يتصوّرهما، وكلما عثر على فيلا شبيهة بما يتوقّع أخرج المنديل الذي أخذه من «نوسة» وقرّبه من أنف «زنجر» وأطلقه يجري ... ولكن

«زنجر» كان يدور حول نفسه ويجري هنا وهناك ثم يعود بدون أن يُحاول دخول الفيلا أو النباح.

بينما كان «تختخ» و«زنجر» يلفان ويدوران، كان بقية الأصدقاء قد اختار كل منهم طريقاً مختلفاً ... كان «محب» مهتماً بسؤال أصحاب المحلات الصغيرة وباعة المتلّجات والصحف، وكان يتذكر «لغز اللص الشبح»، وكيف عثروا على بعض الأدلة الهامة عند بائع مياه غازية.

أما «عاطف» فكان يبحث بطريقة مختلفة، كان ينظر إلى اللافتات الموجودة على أكثر الفيلات في المعادي باحثاً عن فيلا باسم «مراد» أو حتى فيلا الشطرنج، فلماذا لا يُسمّي الفيلا التي يملكها فيلا الشطرنج أو فيلا الحصان أو الفيل أو الطابية؟! كان له تصوّر ساخر حول هذا البحث ... فما دام هذا الرجل يحب الشطرنج فلماذا لا يُسمي الفيلا التي يملكها بأحد أسماء قطع الشطرنج؟!

«نوسة» ... و«لوزة» سارَتَا معاً ... كانت «نوسة» المتفائلة الخيالية تفكر أنها ستجد الرجل فجأة أمامها ... ستجده يقف في حديقة الفيلا يروي الزرع، وسوف تُشير له ويشير لها، ثم يدعوها إلى الدخول ... لم تكن تبحث عن الفيلا، كانت تبحث عن الحديقة. «لوزة» كانت تفكر بأسلوب مُختلف ... كانت تدير في رأسها كل الاستنتاجات والمعلومات والأدلة التي حصلوا عليها، وتحاول أن تصل إلى استنتاج محدد عن شخص «مراد»، استنتاج يؤدي بها إلى مكانه بدون بحث. كان كل واحد من الأصدقاء يفكر على طريقته ... وكلّ منهم يتصور أنه سيصل إلى «مراد» أولاً. فجأة وجد «تختخ» نفسه أمام فيلا قديمة أوحى إليه بشيء غريب ... كانت تشبه قلعة من قلاع القرون الوسطى، أو طابية من الطوابي القديمة التي كانت تُقام على سواحل البحار للدفاع عن الموانئ ...

أوقف «تختخ» دراجته، ووقف من بعيد يتأمل الفيلا ... كانت صغيرة مستديرة تتسع قاعدتها من أسفل وتضيق كلما ارتفعت ... وفي آخرها سور متفرّع يُشبه سور القلعة أو الطابية ... وتذكر «تختخ» الشطرنج ... بدت هذه الفيلا وكأنها قطعة من الشطرنج، وخفق قلبه، ثم أخرج المندبل ودفعه إلى أنف «زنجر» الذي جذب نفساً عميقاً ثم انطلق حيث أشار له «تختخ».

وتقدم «تختخ» ببطء مقترّباً من الفيلا ... وشيئاً فشيئاً بدت حديقتهما الواسعة وتقدم «تختخ» أكثر فأكثر ... وكانت مُفاجأةً كاملة له أن شاهد أغرب حديقة رآها في حياته ... كانت الحديقة واسعة مربّعة، وقد تكونت أرضيتها من نوعين من الحشائش ... حشيش

«الجازون» الأخضر الغامق ... والحشيش العادي الأخضر الفاتح ... ولم يكن هذا كل شيء ... كانت أرض الحديقة قد قُسمت إلى مربعات مُتساوية. كل مربع غامق بجواره مربع فاتح ... تمامًا ... تمامًا مثل رقعة الشطرنج.

وعندما عاد «زنجر» نابجًا يجري بين «تختخ» وسور الفيلا لم يُعد هناك مجال للشك في أنه قد عثر على فيلا «م. ش» الرجل الغريب الطويل القامة، الرياضي، ذي العصا الأنيقة و«الباب» الذي لا يُغادر فمه ... لاعب الشطرنج الماهر!

وقف «تختخ» يفكر فيما يفعل ... واستند على سور الحديقة، وأخذ يتأملها وهي منبسطة خلف الأشجار العالية المحيطة بالسور، والتي تُخفي الحديقة عن الأعين ... وتضاعفت دهشته عندما شاهد كيف زُرعت الأشجار في داخل الحديقة، أشجار الورد والليمون والخوخ ... كانت كل شجرة تقف في مكان قطعة من قطع الشطرنج ... ثماني أشجار في صف من نوع واحد تُشبه عساكر الشطرنج ... خلفها ثماني أشجار أخرى مثل بقية القطع ... طابية ... فيل ... حصان ... ملك ... وزير ... ثم حصان وفيل وطابية مرة أخرى ... رقعة شطرنج كاملة في حديقة رائعة ... ووقف «تختخ» مذهولاً!

الشيء الغامض

اتجه «تختخ» إلى الباب الكبير في سور الفيلا ... كان بابًا من الخشب المصفّح بالحديد ... يشبه أبواب القلاع، وأخذ يبحث عن الجرس، ولكنه لم يجد سوى مطرقة من النحاس، وأدرك أنها تقوم مقام الجرس، فرفعها ثم تركها تنزل. وكم كانت دهشته حينما وجدها تنزل ببطء فلا تُحدث أيّ صوت. وخيّل إليه أنه يسمع جرسًا يدقّ من بعيد ... ولم يمض سوى ثوانٍ حتى ظهر عملاق أسود مُقبل من بعيد تقفز حوله مجموعة من الكلاب الضخمة الشرسة، فوقف «تختخ» مذهولاً ليرى تطورات الأحداث.

وصل العملاق الأسود إلى الباب، والكلاب حوله، ثم نظر إلى «تختخ» نظرة نافذة وقال: ماذا تريد؟ قال «تختخ» بثبات: أريد مقابلة الأستاذ «مراد»!

العملاق: اسمك؟

تختخ: توفيق!

دخل العملاق «كشكّا» بجوار الباب، وأخذت الكلاب تنبح، ووقف «زنجر» يبادلها النباح، وبرغم شجاعة الكلب الأسود فإنه أدرك أن هذه الوحوش إذا انطلقت عليه، فسوف تكون معركة رهيبة تنتهي بهزيمته ... لهذا كان ينبح ثم يتراجع. وأدرك «تختخ» المحنة التي فيها كلبه العزيز، فأخذ يربت على ظهره لتهديته.

عاد العملاق بعد لحظات ووضع مفتاحًا في الباب وأداره، ثم فتح مجموعة من الأقفال من الداخل وقال لـ «تختخ»: تفضّل ... الأستاذ «مراد» في انتظارك!

نظر «تختخ» إلى الكلاب الشرسة التي كانت تقفز لتخرُج، وفهم العملاق معنى نظرتة، فصاح بالكلاب صيحة عالية أمرًا إياها بالعودة إلى أماكنها ... وكم كانت دهشة «تختخ» حينما رأى الكلاب تُرخي ذيولها وتعود تعوي جارية إلى حيث أتت، ودخل «تختخ» وخلفه «زنجر» يقدم رجلًا ويؤخّر أخرى ... قال العملاق: اتبعني.

مشى «تختخ» خلف العملاق ينظر حوله إلى ما حوَّته الفيلا من بدائع ونفائس، وكان يلمح بين نظرة وأخرى أنها مُحصَّنة جيِّداً، وكأنَّها أُعدَّت فعلاً كقلعة تحمي من يسكنها. بعد أن سارا في عدة دهاليز ضيقة مفروشة بالسجاد الفاخر، وصلا إلى غرفة مغلقة، ومد العملاق يده وفتح الباب وقال لـ «تختخ»: تفضل! ...

ودخل «تختخ» وخلفه «زنجر» إلى غرفة واسعة، جدرانها من الزجاج الملون بعشرات الألوان. وقد تسلَّلت منه أشعة الشمس، فصنعت من جو الغرفة مهرجاناً من الألوان المتداخلة.

في طرف الغرفة الواسعة، وعلى كرسيٍّ كبير، كان يجلس الأستاذ «مراد» وسمع «تختخ» صوته يقول: تفضَّل ... لقد كنتم عند حسن ظني بكم!

تقدَّم «تختخ» بعد أن طلب من «زنجر» أن يبقى بعيداً، ووصل إلى مكان «مراد» الذي سلم عليه وهو جالس قائلاً: معذرة فإنني لا أستطيع أن أقف! ... وتطلَّع «تختخ» إلى وجهه، كان شاحباً ومُتعباً ... وكانت ذراعه اليسرى مربوطة بالشاش ... وبدأ كل شيء لـ «تختخ» عجباً وخيالاً، ولا سيما كلمات «مراد»: لقد كنتم عند حسن ظني ... وإنني لا أستطيع أن أقف ... ماذا يقصد؟! ولماذا هو شاحب إلى هذا الحد؟!

أشار «مراد» إلى مقعد أمامه، فجلس «تختخ»، ولاحظ أن هناك «طاولة» صغيرة أنيقة عليها رقعة شطرنج، وأن قطع الشطرنج مصنوعة من العاج ومطعمة بالفضة اللامعة ... كانت تحفة لا مثيل لها؛ وأخذ يتأملها لحظات، ثم سمع صوت «مراد» يقول: مرحباً! عاد «تختخ» إلى نفسه وقال: لقد جئتُ أرُدُّ إليك المنديل الذي سقط منك!

ابتسم مراد وقال: إنه لم يسقط مني ... لقد أسقطته عامداً!

وهمس «تختخ» قائلاً: أسقطته؟! شيء غريب!

مراد: أعترف لك أنني لم أحضِرُ إلى حلوان مصادفة، ولم أقابلكم مصادفة ... ولم يسقط مني المنديل مصادفة، لقد فعلتُ كل هذا عامداً متعمداً!

تختخ: غير معقول!

مراد: لماذا؟ لقد سمعت عن مغامراتكم، فأردتُ أن أختبر ذكاءكم، وقد كنتم عند حسن ظني بكم ... فاشرح لي كيف وصلت إلى هنا؟

روى «تختخ» لـ «مراد» تفاصيل الأحداث التي مروا بها منذ غادرهم، والاستنتاجات التي وصلوا إليها، والخطط التي وضعوها للبحث عنه، وكيف وصل إليه. فhez «مراد» رأسه إعجاباً وقال: إنكم أكثر ذكاء مما تصورت.

تختخ: لقد سألتني، وجاء الأوان لأسألك أنا!

مراد: عن أي شيء؟

تختخ: أولاً عن سبب سُحوبك والإصابة التي في ذراعك، لقد غادرتنا أمس وأنت أوفر

ما تكون صحة، فماذا حدث؟

فكّر «مراد» قليلاً ثم قال: لا شيء ... لقد أُصِبت في حادث سيارة بعد أن تركتكم مباشرة، والحمد لله أنني ما زلت حيّاً!

أحس «تختخ» أن «مراد» لم يَقُل الحقيقة، ولكنه بالطبع لم يَكُن يستطيع تكذيبه فسأله: ماذا تعني بقولك إنّنا كنا عند حسن ظنك بنا؟

مراد: لقد سمعتُ عنكم منذ فترة، وعرفت أنكم مغامرون شُرفاء تقومون بالمساعدة على تحقيق العدالة ونصرة المظلومين ... فقررت أن أختبر ذكاءكم، لأنني أحب الأذكياء، ولما كنت بلا أصدقاء تقريباً، فقد قررتُ أن أختاركم كأصدقاء، وبخاصة أنكم من هواة الشطرنج مثلي!

تختخ: ولماذا غادرتنا أمس فجأة؟

مراد: لا داعي لهذا السؤال الآن ... أو لا داعي للإجابة عنه، وسوف تَعْرِفُون كل شيء في حينه، فهناك أشياء كثيرة أحب أن أشارككم فيها، ولكن الوقت لم يَجِن بعد ... والآن أين بقية الأصدقاء؟ نظر «تختخ» في ساعته ثم قال: لقد اتفقنا على أن نلتقي بعد ساعتين في حديقة منزل «عاطف»، كما اعتدنا أن نتقابل، وقد مضت ساعة وربع ساعة منذ افترقنا؛ فبعد ثلاثة أرباع الساعة سوف نتجمّع مرة أخرى!

مراد: معنى هذا أنهم الآن ما زالوا يبحثون عني!

تختخ: نعم!

مراد: دعهم يبحثون لنرى من الذي سيَصِلُ إلى مكاني غيرك!

تختخ: لقد كنتُ حَسَنَ الحظ لأنني وجدْتُك، ولستُ أعْتقد أن أحداً منهم سيصل! ...

ولكن «تختخ» لم يَكِدْ ينتهي من جملته حتى سمعوا جرس الباب يدقُّ ... كان جرساً موسيقياً رقيقاً ... ثم سمع «تختخ» بعد لحظات صوت تليفون هادئ يدقُّ بجوار «مراد» الذي رفع السماعة ثم تحدث ووضع السماعة وهو يبتسم قائلاً: «تختخ» ... واحدة من المغامرين وصلت! هزَّ «تختخ» رأسه قائلاً: لا بد أنها «لوزة»!

وبعد لحظات سمعوا صوت الباب يُفتح وظهرت «لوزة» في الباب، فابتسم لها «تختخ» قائلاً: كيف وصلت؟ كانت «لوزة» مُتسارعة الأنفاس، وقد احمر وجهها من الحر والانفعال،

وبعد أن سلمت على «مراد» جلست وشرحت لهما كيف وصلت ... لقد توصلت إلى نفس الاستنتاجات التي توصل إليها «تختخ»، وهكذا قادت دراجتها إلى أطراف المعادي حيث وجدت الفيلا، ولاحظت شكلها الذي يشبه الطابية ... وأدركت أنها ستجد «مراد» في هذه الفيلا.

قال «مراد» مبتسمًا: إنني مُعجَب بكما جدًّا ... وسوف تكون في انتظاركم في المستقبل الغاز أخرى أكثر غموضًا ... ولكن مهما حدث فلا تَبْلُغوا رجال الشرطة! تختخ: الغاز؟! أي الغاز؟

مراد: لا داعي لاستباق الحوادث ... سيأتي كل شيء في حينه ... وقد لا يأتي ... من الذي يعلم؟!

قضى «تختخ» و«لوزة» وقتًا جميلًا مع «مراد» وشاهدًا بعض أنحاء الفيلا العجيبة، واتفقا مع «مراد» على أن يحضر الأصدقاء في اليوم التالي لزيارة الفيلا، وأن يستمعوا من «مراد» إلى بعض خطط لعب الشطرنج المهمة التي يعرفها كبار اللاعبين.

وفي مساء اليوم التالي كان الأصدقاء الخمسة في طريقهم إلى الفيلا، وهم جميعًا في غاية الابهت والتشوق للقاء هذا الرجل الغريب ... وبخاصة بعد أن عرفوا أنه كان يتبعهم وأن لقاءهم به لم يكن مصادفة كما تصوروا.

وصلوا إلى الفيلا في الموعد المتفق عليه ... وكانت الشمس قد مالت للمغرب، والشوارع قد أضيئت ... ومع ذلك لم يكن في الفيلا فرد واحد ... واقتربوا حتى أصبحوا بجوار السور، وأخذوا ينظرون خلال الحديقة العجيبة، ولكن لم يكن هناك أثر للحياة فيها ... ومد «محب» يده وضغط الجرس ... وانتظروا، لكنَّ أحدًا لم يظهر ... ومضت فترة ... ومرة أخرى ضغط «محب» الجرس ... ومضت فترة أطول ولم يرد أحد ... ونظر الأصدقاء بعضهم إلى بعض ... وبدا واضحًا في وجوههم أن شيئًا غير عادي قد حدث ... هل خرج الأستاذ «مراد»؟! وإن كان قد خرج فأين العملاق الأسود الذي رآه «تختخ» و«لوزة»؟ ... وأين الكلاب الضخمة؟ وهل من الممكن أن يخرج ويُخلف مواعده معهم؟ وإذا لم يكن قد خرج فلماذا لا يرد؟! لماذا لا يرون أثرًا للحياة في الفيلا؟!

ومضت فترة ودقوا الجرس مرة ثالثة، ولما لم يرد أحد، ركبوا دراجاتهم مرة أخرى، وطلب منهم «تختخ» أن يدوروا حول الفيلا دورة، أخذوا يتأملون خلالها الحديقة والفيلا، ثم اتجهوا إلى منزل «عاطف» حيث اعتادوا الاجتماع ... وعندما جلسوا ظلوا صامتين فترة، ثم قالت «لوزة»: هناك شيء غامض لا أعرفه قد حدث! ما الذي حدث في تصوركم؟

ردت «نوسة»: نحن لا ندري، لعلك أنت و«تختخ» أكثر معرفة بما يمكن أن يحدث للأستاذ «مراد»!

قال «تختخ»: كانت آخر كلماته لنا أن هناك مزيداً من الألغاز في انتظارنا، ولكنه لم يفصح عن ماهية هذه الألغاز!

عاطف: لقد جاء اللغز أسرع مما نتصور ... هذا إذا كان لغزاً حقيقياً ولم يكن هذا الرجل يلعب بنا!

تختخ: سأعرف الليلة ... أو سأحاول أن أعرف!

محب: كيف؟

تختخ: سأدخل فيلا الأستاذ «مراد» هذه الليلة!

ملك الشطرنج

في الحادية عشرة ليلاً دخل «تختخ» غرفة العمليات وبدأ عملية تنكّر ... وقد قرر أن يتنكر في شكل ولد متشرّد، ولبس ملابس داكنة اللون، وأخذ بطاريته الصغيرة، وقرّر أن يذهب إلى فيلا الأستاذ «مراد» سيراً على الأقدام.

في مُنتَصَف الليل تماماً كان «تختخ» يَفْتَح نافذة غرفته، وعن طريق شجرة التوت نزل إلى الأرض بعد أن أغلق النافذة من الخارج إغلاقاً خفيفاً.

كانت الشوارع قد بدأت تخلو من المارة ... و«تختخ» يقطع الطريق وحيداً بدون أن يصحب معه «زنجر». وبعد نحو ساعة كان قد أشرف على فيلا الأستاذ «مراد». دار حولها دورة واسعة يبحث عن أفضل مكان ينفذ منه إليها ... كان هناك أكثر من مكان صالح لتسلق السور ... واختار مكاناً خلف الفيلا حيث يقل ضوء الشارع، وانتظر قليلاً حتى تأكد أن لا أحد هناك، ثم تسلق شجرة بجوار السور وعن طريق أغصانها تجاوز السور، ونزل إلى أرض الحديقة على الأعشاب الطرية، وجلس قليلاً بجوار شجرة يلتقط أنفاسه ... وكانت إحدى الأشجار التي يتكوّن منها الصف الثاني للشطرنج ... هذا الشطرنج العجيب المكوّن من الأشجار ... وبعد أن هدأت أنفاسه بدأ يتحرك في اتجاه الفيلا ... وكلما اقترب خُيِّل إليه أنه يرى أضواء تلمع داخلها ... ولكنه ظنّ أنه واهم ... فربما كانت أضواء السيارات المارة من بعيد تنعكس على زجاج الفيلا ... وظل يَقترب ... وبدت له الأضواء المتحركة في الداخل أكثر وضوحاً ... وقرر ألا يصعد السلم الطويل المؤدي إلى المدخل، فمن الأفضل أن يقفز إلى إحدى الشرفات وينظر خلال الشيش المُغلق.

واقترب كالقط في هدوء حتى وقف تحت الشرفة، واستجمع قوته وقفز فأمسك بالسياج، ثم حمل جسمه الثقيل على ذراعيه وطوح بساقه إلى فوق، ثم تعلق بالسياج

لحظات وقفز إلى الشرفة ... بقي قابلاً هناك فترة، ثم وقف بهدوء خلف «الشيش» يُحاول أن يرى الضوء الذي خُيِّل إليه أنه رآه ... ولكن الظلام كان مخيماً تماماً.

وقف «تختخ» لحظات يفكر في الخطوة التالية ... وهبَّ نسيم الليل البارد، وخُيِّل إليه أن شيش الشرفة يتحرك مع الريح ... وسمع صوت فرقة خفيفة، فمد يده يختبر الشيش، وكم كانت دهشته أن وجده يتحرك، فجذبه إلى الخارج بهدوء، ووجد الزجاج موارباً، فلم يتردد وفتحه ودخل، ووارب الشيش والزجاج خلفه، ووقف لحظات يسترد أنفاسه اللاهثة.

كان الظلام مُخيماً تماماً على الغرفة التي دخلها فأخرج بطاريته من جيبه وأطلق خيطاً رفيعاً من الضوء أداره فيما حوله ... ومما شاهده أدرك أنه في غرفة طعام ... مائدة طويلة صُفِّ حولها نحو عشرين كرسيّاً ... وبوفيهات عليها تحف رائعة ... ولوحات على الحائط ... كان كل شيء يدلُّ على ثراء غير محدود وذوق رفيع.

وبدأ «تختخ» يتحرك إلى باب الغرفة، ووقف لحظات يتصنّت ... بدا له أنه يسمع صوت حركة في الداخل ... حركة أقدام تسير ... وأصواتاً تتحدّث ... ومدَّ يده وأمسك بمقبض الباب، وأخذ يُديره في هدوء ... واستطاع أن يفتحه بدون أن يُحدث صوتاً ... ومن شقِّ صغير استطاع أن يرى صالة الفيلا الواسعة، حيث التقى بالأستاذ «مراد» أمس ... كانت الصالة غارقة في الظلام ... ففتح الباب وتقدم ... وفي تلك اللحظة حدث ما لم يكن في الحساب ... انطلق ضوء بطارية قوية في الظلام سقط على عينيه فأعشاهما ... وسمع صوتاً يقول: قف مكانك ولا تتحرك!

كانت مُفاجأة كاملة لـ «تختخ»، فوقف مكانه مصعوقاً لا يرى، ثم أغمض عينيه، وأخذ ذهنه يعمل بسرعة ... مَنْ هذا الذي تحدث معه؟ هل هو «مراد»؟ لقد قال له إن هناك ألغازاً وأسراراً في انتظاره، فهل هذه الحركة جزء من هذه الألغاز والأسرار؟

وفتح عينيه ... كان الظلام مخيماً على الصالة لا يُبَدِّه كثيراً ضوء المصباح الذي كان موجهاً إلى جسمه، وسمع الصوت مرة أخرى يقول: من الأفضل لك ألا تُحاول الهرب أو القيام بأي عمل آخر ... إنك محاصر! ولم يكن أمام «تختخ» إلا أن يخضع للتعليمات ... فسكت لحظات ثم قال: ماذا تريد مني؟

وكانت عيناه قد أُلْفَتَا الظلام الذي خفف منه ضوء البطارية، فسمع الصوت يقول: أنا الذي سأسألك، وعليك أن تجيب فقط!

ثم سمع الصوت يقول: هل نجدُ غرفة لا يخرج منها الضوء لتتحدث معه! وسمع صوتاً غريباً عنه يقول: نعم، في غرفة المكتب حيث كُنَّا، فستائرنا ثقيلة ومحكمة.

واتجه ضوء البطارية إلى أحد الأبواب، وسار «تختخ» حتى الغرفة، وأضيء النور، ورأى «تختخ» الرجل الذي كان يتحدث معه ... كان رجلاً نحيفاً للغاية، نافذ النظرات، يحمل في يده مسدساً ضخماً، وعلى وجهه علامات القسوة.

وعندما أدار «تختخ» عينيه إلى الرجل الآخر، كانت المفاجأة الثانية في هذه الليلة ... فقد كان أمامه الزنجي الضخم الذي شاهده أمس يقوم بخدمة «مراد»! ودارت بذهن «تختخ» أكثر من فكرة عن سبب وجود الزنجي مع الرجل الغريب، ولم يشك لحظة في أن له علاقة بغياب «مراد» وصمت الكلاب.

أخذ الرجل يتأمل «تختخ» بإمعان ثم قال له: يبدو لي أنك مُتَنَكِّر! كانت هذه هي المفاجأة الثالثة، فهي أول مرة يكتشف فيها إنسان تنكّر «تختخ»؛ فهو دائماً يجيد التنكر.

لم يردّ «تختخ»، فقال الرجل: لقد احتكّ شيء بوجهك فأزال بعض الأصابع، وبدا تنكرك واضحاً.

وتذكّر «تختخ» أنه عندما كان يمر بين أغصان الشجرة احتك بوجهه غصنٌ قوي، وأدرك أن إنكاره لن يكون مُجدياً.

قال الرجل موجهاً حديثه للزنجي: إنه بالتأكيد أحد الأولاد الذين ذكرت لي أنهم زاروا «مراد» أمس.

قال الزنجي: لقد كانوا اثنين، ولدًا وبنّتًا، وهذا هو الولد!

قال الرجل مُحدّثاً «تختخ»: ماذا قال لك «مراد» أمس عن ملك الشطرنج؟

رد «تختخ»: لم يقل لي أي شيء!

هز الرجل مسدسه قائلاً: أفضل ألا تضيع وقتنا في الانتظار ... لقد ترك لك ورقة يحدثك فيها عن ملك الشطرنج!

ومدّ الرجل يده بورقة إلى «تختخ» فأمسكها، وألقى نظرة عليها، فإذا فيها سطر واحد:

توفيق ... حافظوا على ملك الشطرنج، فليست له قيمة على الإطلاق.

هز «تختخ» رأسه، وقال: إنني لا أفهم شيئاً!

قال الرجل: لا أظنني سأصدّقك؛ فهذه ورقة موجهة إليك ... وفيها كلام لا يفهمه سواك ... إنه كلام متناقض وغير معقول ... فكيف يحافظ الإنسان على شيء ليست له قيمة؟

تختخ: إنني سأسألك السؤال نفسه!

تقدم الرجل من «تختخ» بهدوء وقال: من الأفضل لك أن تتحدّث ... ماذا يقصد بهذا الكلام؟! وأين ملك الشطرنج؟!

أخذ «تختخ» ينظر حوله ... ويفكر بسرعة ... لم يكن هناك طريق للفرار ... وفي الوقت نفسه فإن هذا الرجل لن يُصدِّقه مهما قال له إنه لا يفهم شيئاً من الكلام المكتوب ... وإنه لم يرَ الملك المقصود!

ما معنى أن يطلب منك إنسان المحافظة على شيء ليست له أهمية على الإطلاق؟ شيء مُحير! في ظروف مُحيرة ... كيف يتصرف؟! وأخرجه من حيرته صوت الرجل وهو يقول: إنني أفهم من الورقة التي تركها «مراد» أنه أعطاك ملك الشطرنج ... وأنه يَطْلُبُ منك المحافظة عليه ... وما يهمنا الآن هو الحصول على هذه القطعة ... الملك!

تختخ: أؤكد لك أنني لم أرَ ملك الشطرنج هذا مُطلقاً، ولا أعرف إن كانت له قيمة أو لا!

قال الرجل بصوت بارد: إنني لا أُصدِّقك!

تختخ: لأُكن أكثر دقة. لقد شاهدت عند الأستاذ «مراد» أمس أنواعاً من قطع الشطرنج، ولعلي رأيت الملك المقصود في هذه الورقة. ولكن صدّقني أنني لم آخذ معي شيئاً على الإطلاق ... وقد كان هذا الرجل — وأشار إلى الزنجي — طول الوقت هنا ... ولو أخذت شيئاً لراه.

أخذ الرجل يتمشّى في الغرفة وقد وضع يديه خلف ظهره وهو يفكر بعمق، ثم التفت إلى الزنجي قائلاً: هل تعرف أماكن كل قطع الشطرنج الموجودة في هذه الفيلا؟

الزنجي: نعم؛ فإنني أقوم بتنظيفها ووضعها في أماكنها!

الرجل: كم عددها؟

فكّر الزنجي قليلاً ثم قال: تقريباً عشرة أنواع من الشطرنج، ولكنني متأكد أن مجموعة الشطرنج التي تبحث عنها ليست بينها!

كانت هذه الجملة أول شيء مفهوم في هذا اللغز العجيب ... فقد أدرك «تختخ» أن هذا الرجل يريد الحصول على شطرنج موجود عند «مراد»، وأنه ربما يُريد قطعة واحدة منه هي الملك. ولكن لماذا؟

ظلاً «تختخ» يرقّب الرجل الذي عاد إلى السير في الغرفة، ثم التفت إلى الزنجي قائلاً: ولكن الشطرنج الذي أريده كان هنا — كما تقول — منذ يومين ... أليس كذلك؟

رد الزنجي: نعم ... أنا متأكد أنه كان هنا منذ يومين ... وكنت — حسب اتفاقنا — أحاول سرقة، ولكن «مراد» كان يُراقبه جيداً، وعندما اختفى أبلغتك، وقمنا باختطاف ...

وقبل أن يتمّ جملة نظره إليه الرجل نظرة صارمة فسكت، وقال الرجل: دعك من
الثرثرة وتعالَ نَرِ مجموعات الشطرنج!

الزنجي: إنَّ أكثرها هنا في غرفة المكتب ...

وكان «تختخ» قد شاهد ثلاث مجموعات من قطع الشطرنج، واحدة منها على المكتب،
والثانية فوق رف، والثالثة على مائدة صغيرة.

وأخذ الرجل يتطلع إلى المجموعات الثلاث، ويرفع كل قطعة ويزنها في يده، ثم أخرج
مِبرداً صغيراً من جيبه، واستعمله في برد كل ملك ... وأدرك «تختخ» أن الرجل يبحث عن
قطعة من الشطرنج — هي في الأغلب الملك — وأنها مصنوعة من معدن معين.

وقال الرجل وهو يهزُّ رأسه: إنها ليست هي ... ليس شكلها مطلقاً، إنني أعرف
الشطرنج الذي أبحث عنه ... إنه ليس واحداً من هذه ... تعالَ لأرى بقية المجموعات!

ثم التفت إلى «تختخ» قائلاً: وأنت تعالَ معنا ...

وأطفئوا النور وخرجوا إلى الصالة ... كان الصمت يُخيّم على كل شيء ... وفجأة رن
في السكون صوت نافذة تُفتح ... وأقدام تتسلل ... وأسرع الرجل يُطفئ البطارية التي كان
قد أضاءها، وشمل الظلام المكان ... وأدرك «تختخ» أنها فرصته، وبهدوء وحذر أخذ يبتعد
عن مكانه مقدراً أنه يتجه إلى غرفة الطعام ذات الشرفة المَفْتُوحَة ... وكانت عيناه قد أُلْفَتَا
الظلام، فاقترَب من الحجرة مسرعاً وفتح باباً، وفي تلك اللحظة شاهدَه الرجل والزنجي
فصاح الرجل: اقْبِضْ عليه ... ولكن «تختخ» كان أسرع، فأغلق الباب بسرعة خلفه، ووجد
شِبْحاً في الغرفة ... وأدرك أنه أصبح بين قوسين ... الزنجي في خارج الغرفة، وهذا الشبح
في داخلها ... وأخذ ذهنه يعمل بسرعة البرق ... وأدرك أنه من الأفضل أن يقع في يد الشبح
فقد يكون «مراد»، بدلاً من أن يقع في يد الزنجي، فأسرع إلى الشرفة وقفز منها إلى الحديقة
... وكَم كانت دهشتُهُ حين وجد الشبح يتبعه ويقفز هو الآخر ... وأسرع يجري إلى سور
الحديقة والشبح خلفه، ثم قفز السور، وقفز خلفه الشبح ... وأسرع يجريان مبتعدين عن
الفيلا بأسرع ما يستطيعان.

الغز

سمع «تختخ» الشبح الذي يجري خلفه ينادي: «تختخ»، «تختخ» ... وعرف على الفور أنه صوت «محب» ... فأبطأ من سرعته في الجري وهو يلهث حتى لحق به «محب»، ووقف الصديقان لحظات بدون أن يتحدثا، ثم استأنفا الجري فلم يكن هناك وقتٌ للحديث. بعد مسافة كافية توقفا مرةً أخرى، ثم سارا وقد تسارعت أنفاسهما، وقال «تختخ» بصوت متقطع: ما الذي جاء بك؟

رد «محب»: لقد كنتُ أتبعك منذ خروجك من المنزل، فعندما أعلنت عن عزمك على دخول الفيلا ليلاً قررت أن أتبعك؛ فقد تقع في مأزق فأتدخل، فيما أن أساعدك في الخروج منه، أو نقع معاً.

تختخ: شكرًا يا «محب» ... لقد جئت في الوقت المناسب حقًا، وإلا فتكَّ بي هذان الرجلان.

محب: ماذا حدث بالضبط؟!

تختخ: حدث أنَّ اللغز زاد تعقيدًا ... لقد كان أماننا لغز اختفاء «مراد» فإذا ذلك شيء بسيط ... فهناك لغز أكثر غموضًا وتعقيدًا.

وكانا قد اقتربا من منزل «تختخ» فقال: سأصعد إلى النافذة ثم أنزل وأفتح لك. وبسرعة كان «تختخ» يتسلق الشجرة التي تحت نافذته، ثم دفع النافذة التي أغلقها بدون ترباس، وأعجب «محب» بسرعته برغم سمنته الواضحة، وبعد لحظات كان الصديقان يجلسان في المطبخ يشربان كوبين من الشاي ويتحدثان.

قال «محب»: لقد أدهشني أن باب الشرفة كان مفتوحًا، فهل أنت الذي فتحتة؟ تختخ: لا ... لقد وجدته مفتوحًا، ولعلهما تركاه كسبيل للفرار إذا حدث هجوم عليهما في داخل الفيلا.

محب: على كل حال ... لقد استفدنا مما فعلاه.
تختخ: ولعلهما يكونان قد تركا الغرفة مفتوحة لأدخل أنا ... فقد وجدا رسالة من «مراد» موجهة لي ... فأدركا أنني سأحاول دخول الفيلا، فسَهَّلَا لي المهمة حتى يَقْبِضَا عليَّ لأحل لهما لغز الرسالة.

محب: وماذا في هذه الرسالة؟

تختخ: هذا هو اللغز ... رسالة مهمّة من «مراد» لي ... لا يمكن أن تفهم منها شيئاً! ثم أخرج «تختخ» الرسالة من جيبه، وقال: لقد أعطانيها الرجل لأقرأ ما بها من كلمات ... والرسالة تقول: ««توفيق» ... حافظ على ملك الشطرنج ... فليست له قيمة على الإطلاق.»

استمع «محب» إلى الرسالة وعلى وجهه دهشة شديدة، وقال: شيء غير معقول ومُتناقض تماماً ... فكيف يُحافظ الإنسان على شيءٍ ليست له قيمة؟!
تختخ: هذا هو اللغز!

محب: لا بد أن نجتمع كلنا ونناقش هذه الرسالة.
تختخ: ليكون ذلك غداً في حديقة «عاطف»؛ فقد تأخّر الوقت، وعليك أن تعود إلى المنزل قبل أن يكشف أحد غيابك.
وتصافح الصديقان، ثم أوصلا «تختخ» «محب» إلى قرب منزله، وعادا إلى غرفته. وبعد أن أزال التنكر جلس يُفكر في أحداث الليلة، ويحاول أن يفسر لغز ملك الشطرنج، ولكن غلبه النوم قبل أن يصل إلى أي تفسير.

في صباح اليوم التالي اجتمع الأصدقاء في حديقة منزل «عاطف». كان هناك الكثير مما يُمكن أن يسمعه ويقلوه ... وبدأ «تختخ» الحديث، فرَوَى للأصدقاء مغامرة الليلة الماضية في الفيلا العجيبة منذ قام بالتنكر حتى فراره مع الشبح الذي لم يكن سوى «محب» ...

وقال «محب»: لقد راقبتُ منزل «تختخ» منذ عرفتُ أنه سيدخل الفيلا تلك الليلة، وعندما خرج كدتُ لا أعرفه، فقد تنكر تنكراً جيداً ... ولكنني عرفتُه من حَجْمِهِ ومن مشيته، وسرتُ خلفه حتى قفز سور الفيلا ... وانتظرت بعض الوقت ثم قفزتُ وتبعتهُ برغم الظلام، ورأيتُه وهو يدخل ودخلت خلفه بدون أن يُحسّ، واستطعت أن أستمع إلى أكثر الحوار الذي دار بينه وبين الرجلين حتى اللحظة التي أدركت فيها أنه في خطر، فأحدثتُ صوتاً، وكنْتُ متأكداً أن هذا الصوت سيلفت انتباه الرجلين، وأن «تختخ» سيكون من الذكاء بحيث يستغله، وقد حدث فعلاً.

لوزة: إنك مُغامر رائع يا «محب»!
 عاطف: ولو كان قد وقع في أيدي الرجلين لقلت عنه: إنه أخيب مغامر في الدنيا.
 تختخ: دعونا من هذا الآن ... ما رأيكم في رسالة «مراد» لي؟! وماذا يقصد بأن أحافظ
 على ملك الشطرنج، وليسَ له قيمة على الإطلاق؟!
 لوزة: المهمُّ أولاً ... أين هو ملك الشطرنج الذي يَطْلُب المحافظة عليه؟
 محب: فعلاً ... أين هو ملك الشطرنج هذا؟
 نوسة: لقد وجدتُ في الفيلا كما تقول ثماني مجموعات من قطع الشطرنج ... فهل
 يا ترى ملك الشطرنج المقصود بينهما؟
 تختخ: لا أظنُّ، فقد كان الرجلان يَبْحِثان عن الملك نفسه، ولو وجداه لكان لهما موقف
 آخر.

عاطف: لا بدَّ أنه ملك الشطرنج الذي نملكه!
 انفجر «محب» مُتضايقاً وقال: ما هذا الذي تقولُهُ يا «عاطف»؟ إننا نبحث عن حلٍّ
 لغزٍ غامض وأنت لا تُلقي سوى النكات ... شيء غير معقول!
 ابتسم «تختخ» قائلاً: لا داعي للثورة يا «محب» ... إن رأي «عاطف» معقول ... أليس
 من المُمكن أن يكون الشطرنج الذي عندنا فيه حلُّ للغز!
 هز «عاطف» رأسه متباهياً ونظر إلى «محب» ... وابتسم الصديقان، وقامت «لوزة»
 مُسرعة إلى داخل البيت، وعادت ومعها الشطرنج الذي يلعبون به ... وبدا لهم جميعاً وهم
 ينظرون إلى قطعه التي أخذت «لوزة» تُخرجها أنهم أمام شطرنج غامض يَحمل سرّاً!
 وأخذت «لوزة» ترمي القطع فوق رقعة الشطرنج ... وتركزت أنظار الأصدقاء جميعاً
 عليها ... كانوا قد وقعوا تحت تأثير فكرة «عاطف» من أن حلَّ اللغز في هذا الشطرنج ...
 فبدا لهم أنه أصبح مختلفاً عما أَلِفوه، وأنه ملفوف بالغموض والسحر!
 انتهت «لوزة» ... من رمي القطع، ثم أخذت تدور حول رقعة الشطرنج وهي تُفكِّر
 ... وساد صمت ثقيل، ومدت «لوزة» يدها وأمسكت بالملك الأسود ... وأخذت تقلبه بين
 يديها فاحصَةً مُدَقِّقة، ولكنه لم يكن إلا قطعاً من البلاستيك ... ولا شيء آخر ... ثم وضعت
 الملك الأسود، وأمسكت بالملك الأبيض، وأخذت تقلبه كما فعلت مع الأول ولكن ... لا شيء
 هناك ... مجرد ملك من البلاستيك لا غير.
 ووضعت «لوزة» الملك مكانه، وفجأة قطعت «نوسة» حبل الصمت قائلة: متى يُصبح
 الملك لا قيمة له على الإطلاق؟

رفع الأصدقاء أعينهم إلى «نوسة» وقد أخرجهم السؤال من جمودهم، ورد «محب»:
عندما «يُزَنَّق» ويموت!

رددت «نوسة» ببطء: عندما يزنق ... ولا يستطيع الحركة ... ويموت!
قال «تختخ»: إنها فكرة مُدهشة ... فأني مباراة في الشطرنج لا تنتهي إلا بموت الملك
... فإذا مات الملك لم تُعد له قيمة على الإطلاق!

لوزة: إذن فنحن نبحث عن ملك شطرنج ميّت، فأين هو؟

تختخ: هذا هو السؤال!

في هذه اللحظة ظهر آخر إنسان يتوقّع الأصدقاء حضوره ... ظهر الشاويش «علي»
على دراجته يقترب ببطء من باب الحديقة ... والتفت الأصدقاء جميعاً إليه وهو يسند
الدراجة ثم يفتح الباب ويدخل.

وظل الشاويش يتقدم والأصدقاء ينتظرون ما بعد التحية. وسحب الشاويش كرسيّاً
وجلس، ثم أخذ يعبث بشاربه لحظات، وقال: «توفيق» ... لقد حَصَرَ إنسان إلى القسم اليوم
يسأل عنك!

دهش «تختخ» وقال: عني أنا؟

الشاويش: نعم!

تختخ: لماذا؟

الشاويش: قال إنّ عنده شيئاً يريد أن يسلمه لك!

تختخ: شيء غريب ... ولماذا لم يحضر إلى منزلي؟

الشاويش: قال إنه لا يعرف سوى اسمك الأول فقط، ولا يعرف عنوانك، وطلب مني
أن أدله على العنوان!

تختخ: إنني لا أفهم شيئاً يا حضرة الشاويش ... لو سمحت أن تروي لنا الحكاية من
أولها!

تدخلت «لوزة» قائلة: أرجو أن نقوم بواجب الضيافة أولاً ... هل يحب الشاويش أن
يشرب شاياً أو قهوة؟

ابتسم الشاويش بإعجاب «للوزة»، ثم قال وهو يعبث بشاربه: شاياً ... كوباً من
الشاي الثقيل لو سمحت!

لوزة: سأذهب لأطلب إعداد الشاي، ولكن لا ترو شيئاً حتى أعود!

الشاويش: اتفقنا.

وأُسْرعت «لوزة» إلى المطبخ، وطلبت من الشغالة إعداد الشاي للشاويش، ثم عادت مسرعة لتستمع إلى ما يقوله، وانتظر الشاويش بدون أن يَنْطِق بحرفٍ حتى وصل الشاي، فتناول منه رشفةً كبيرة بصوت مسموع، ثم قال: كنت في المكتب أقوم بعملي كالعادة عندما دخل رجل لا أعرفه، وأظن أنه ليس من المعادي، وقال لي إنه يبحث عن شابٍّ يُدعى «توفيق».

وسكت الشاويش حتى رشف رشفة أخرى من الشاي، ثم مضى يقول: وبالطبع هناك أولاد كثيرون اسمهم «توفيق» ... لهذا سألتُه عن أوصاف هذا الولد الذي يبحث عنه فقال: إنه سمين ... وبالطبع لا بد أن هناك أولادًا سمانًا يحملون اسم «توفيق» غيرك ... ولكني لا أعرف أحدًا سمينًا يحمل اسم «توفيق» غيرك، وهكذا أخبرته بعنوانك بعد أن قال لي إنه يحمل لك هدية.

وسكت الشاويش فقال «تختخ»: هل هذا كل شيء؟
الشاويش: نعم هذا كل شيء.
تختخ: هل يُمكن أن تصف لنا هذا الرجل!
الشاويش: طبعًا ... إنه طويل القامة، أنيق ورفيع، وله عيناان قاسيتان.
نظر الأصدقاء إلى «تختخ»، ولكن «تختخ» ظلَّ ساكن الوجه بلا تعبير، وسأل الشاويش: وهل عرفت اسمه؟

ارتبك الشاويش وهو يردُّ: نعم ... اسمه «سليمان حسني».
تختخ: إنَّ الاسم مزيف في الغالب ... ولكن متى حدث هذا؟
الشاويش: هذا الصباح في الساعة التاسعة تقريبًا!
نظر «تختخ» إلى ساعته وقال: أيُّ منذ ساعة ونصف ساعة.
وشرب الشاويش بقية كوب الشاي ثم قام منصرفًا، ولكن «عاطف» لم يتركه يَخْرُج قبل أن يقول له: ولماذا جئتُ تُخبرنا؟ هل تُريد أن تعرف ما هي الهدية؟
وثار الشاويش كالمرتد وصاح: لقد كنتُ مارًّا من هنا مصادفة ورأيتكم ... إنني أستحق الشنق لأنني حضرت!

ثم أسرع إلى دراجته، والتفت الأصدقاء إلى «تختخ» الذي قال: إنَّ هذا الرجل الذي سأل عني ... الأنيق الرفيع ... القاسي النظرات هو الرجل الذي كاد أن يَفْتِك بي ليلاً ... ولا شك أنه سيظهر مرةً أخرى!

الأسود والأبيض

حان وقت الغداء قبل أن يَصِلَ الأصدقاء إلى جديد في حلّ اللغز، فانصرفوا، وسار كلُّ منهم إلى منزله، واتفقوا على اللقاء في المساء إذا جدَّ جديد.

وسار «تختخ» إلى منزله يفكر بعمق ... ما هي حكاية ملك الشطرنج بالضبط؟ إنه شيء غامض ولا يُصدِّقه عقل ... وليس فيه ما يَسْتَحِقُّ إبلاغ الشرطة، ولا سيما أن «مراد» رجاه ألا يُبلغ الشرطة.

وبفرض أنه أبلغ المفتش «سامي» فماذا يفعل المفتش؟ ثم أين ذهب «مراد»؟ ... أسئلة كثيرة بدون إجابة.

وعندما وصل «تختخ» إلى المنزل كانت في انتظاره مفاجأة ... وبرغم كل المفاجآت التي مر بها خلال اليومين الماضيين فقد كانت هذه أكبرها ... فحينما وصل إلى المنزل قالت له الشغالة: لقد أحضر رجل لك طردًا صغيرًا.

تختخ: لي أنا؟!

الشغالة: نعم، بعد خروجك بقليل حضر رجل ومعه طرد، وسأل عنك، وعندما لم يجِدْكَ تركه.

تختخ: وهل عرفت من هو؟

الشغالة: لا، لقد انصرَفَ قبل أن أسأله ... ولكنه رجل عجوز يلبس جلبابًا.

تختخ: وأين الطرد؟

الشغالة: إنه في غرفتك ... وقد حاولتُ أن أتصل بك ... ولكني ... وقبل أن تكمل الشغالة جملتها كان «تختخ» يقفز سلاالم الفيلا إلى الدور الثاني حيث غرفته ... وعشرات الأسئلة تتراحم في ذهنه ... طرد؟! وماذا فيه؟ وهل له علاقة باللغز؟!

كان الطرد موضوعًا على المكتب الصغير في جانب الغرفة، فقفز إليه وأمسكه ... كان طردًا متوسطًا في حجم حقيبة مدرسية ملفوفًا بعناية ومكتوبًا عليه اسمه وعنوانه بخط أنيق ... وبأصابع مرتعشة أخذ يفك الورقة، ثم ظهر صندوق أسود أنيق مُغلق بقفل فضي، وفوق الصندوق ظرف مغلق فتحه «تختخ»، فوقع منه مفتاح صغير لامع ... فانحنى «تختخ» والتقط المفتاح، وأمسك بالرسالة التي وجدها بالمظروف. وقبل أن يقرأها ألقى نظرة سريعة على آخرها حيث كان اسم مرسلها «مراد» وتسارعت دقات قلبه ... رسالة من «مراد»، إذن فهذا الطرد يتصل باللغز، بل ربما فيه حل للغز! ... وأخذ يقرأ الرسالة:

صديقي العزيز ...

لا شك أنني سببتُ لك مشاكل كثيرة ودهشة أكثر ... ولكن ثقني فيك هي التي تدفعني إلى كل هذا، إن هذه الرسالة لن تفسر لك كل شيء ... فما زال عندي أمل في أن أحافظ على سري إلى النهاية.
افتح الصندوق ... وستجد ملك الشطرنج ... وحافظ عليه، فليست له قيمة على الإطلاق.

مراد

وهز «تختخ» رأسه في ضيق ... إن اللغز لم يُحل ... بل ازداد غموضًا ... وأمسك بالمفتاح وفتح القفل، وعندما انزاح غطاء الصندوق شاهد «تختخ» أجمل شطرنج رآه في حياته ...

كانت مجموعة من قطع الشطرنج مصنوعة من الأبنوس الأسود ومن العاج الأبيض، محلاة بالفضة وبقطع الألماس الدقيقة البراقة، وأمسك بالملك ... كان الملك الأسود تُحفة لا مثيل لها ... وكان التاج الذي يعلوه قطعة واحدة من الزمرد الأخضر، تربطها أسلاك من الذهب ... وكان الملك الأبيض مثل الملك الأسود تمامًا ... كلاهما مُتشابه في الصناعة ولا يَخْتَلِف إلا في اللون.

كانت أصابع «تختخ» ترتعش وهو يُخرج القطع واحدة بعد الأخرى ... لقد كان ما بين يديه كنزًا حقيقيًا لا يُمكن تقدير قيمته ... وعندما وصل إلى قاع الصندوق وجد رقعة الشطرنج مطوية وفتحها، وعلى أحد أطرافها من الخلف وجد رقعة فضية مكتوبًا عليها كلمات بلغة أجنبية لم يستطع أن يتبينها، ولكن تاريخ ومكان صناعة الشطرنج كان واضحًا: صُنع في أمستردام بهولندا سنة ١٦٨٨ م.

وضع «تختخ» ... الشطرنج أمامه وتأمله في إعجاب شديد ... شيء لا يُصدِّقه عقل ... ولكن ما حكاية «مراد» هذا بالضبط؟ ولماذا يخصُّه هو بسرّه ... ولماذا يضع بين يديه هذا الكنز الخرافي ... وأين ملك الشطرنج المقصود؟! أهو الملك الأسود؟! أم الأبيض؟! وأمسك «تختخ» بالملك الأسود وأخذ يفحصه بعناية ... كان قطعة فنية لا مثيل لروعته ولا لقيمتها، وكذلك الملك الأبيض ... وبينما هو مستغرق في أفكاره سمع الشغالة تدعوه إلى الغداء فأسرع يَضَع القطع مكانها في الصندوق، ثم أغلقه ووضعها في دولاب تحت ملابسه، وأغلق الدولاب ثم نزل مسرعاً، لتناول غدائه.

كان «تختخ» ... يجلس إلى مائدة الطعام، ولكن أفكاره كلها كانت تتجّه إلى فوق ... إلى حيث أخفى الشطرنج الرائع ... ولاحظ والده أنه كثيراً ما كان يضع الملعقة خارج الطبق، أو يمسك الشوكة والسكين والملعقة في يد واحدة ثم يمدها جميعاً ناحية قطع اللحم أو طبق السلطة، فقال الوالد: ما هي الحكاية بالضبط ... هل اخترعت طريقة جديدة للأكل؟

وانتبه «تختخ» من شروده وحملق في والده قليلاً، ثم علت وجهه حمرة الخجل، وأخذ يركز تفكيره فيما يفعل ... ثم أنهى طعامه مسرعاً بدعوى أنه ليس جائعاً، ثم ترك المائدة وغسل يديه وخرج إلى الحديقة ... كان في حاجة إلى أن يخلو بنفسه وبأفكاره ... ماذا يفعل؟

وبعد تفكير طويل استقر رأيه على الاتصال بالأصدقاء مساءً وشرح الموقف لهم ... وخرج يتمشى ... وأمام الفيلا كانت هناك متسوّلة عجوز، وبعض أطفال يلعبون الكرة، وسيارة معطّلة يحاول أصحابها إصلاحها. وأخذ «تختخ» يتأمل كل شيء حوله، ويفكر في هذه المغامرة العجيبة ... وفي الكنز الثمين القابع في دولابه ... وظل يسير حتى وجد نفسه بدون وعي يقف أمام فيلا «مراد» ... ولم يعرف كيف قطع كل هذا المشوار في هذه الساعة الساخنة من النهار ... ودار حول الفيلا يتأملها ... وينظر إلى الحديقة البديعة المنسّقة على شكل شطرنج ... هل تعني شيئاً في هذه المغامرة؟

هذا هو الملك على حسب ترتيب القطع ... لقد اختار له «مراد» شجرة من الأشجار الحمرء، فبدا واضحاً بين بقية الورود ... ولاحظ «تختخ» أن هناك ميّاهاً تأتي من خرطوم في أحد جوانب الحديقة فتتبعها ... وعند نهاية الخرطوم كان بستاني عجوز يسقي الزرع ... وتذكر «تختخ» على الفور العجوز الذي تحدّث عنه الشغالة والذي أحضر الصندوق. وتقدم «تختخ» حتى أصبح بجوار السور تماماً وناداه ... وأقبل الرجل ببطء، فقال له «تختخ»: لقد كنتَ تحمل اليوم طرداً لشاب يُدعى «توفيق» ... أليس كذلك؟

أخذ العجوز ينظر إلى «تختخ» باستغراب، ولكن «تختخ» أسرع يقول له: إنني «توفيق» ... والأستاذ «مراد» صديقي.

ابتسم الرجل وهو يقول: نعم، إنني في خدمتك.

تختخ: أين الأستاذ «مراد»؟

العجوز: لا أعرف!

تختخ: هل من عادته أن يتغيّب عن الفيلا طويلاً؟

العجوز: أبداً!

تختخ: ومتى أعطاك الطرد؟

العجوز: منذ يومين ... قال لي إنه ذاهب إلى حلوان، وعندما عاد من هناك كان مضطرباً، وأعطاني الطرد، وطلب مني أن أسلمه لك إذا خرج ولم يعد ... وقد انتظرت أن أراه أمس، ولكنه لم يظهر، فذهبت إلى منزلك اليوم ولم أجده، وتركت لك الطرد.

تختخ: ألم تر شيئاً غير عادي ليلة أمس؟

العجوز: إنني لا أبيت هنا.

اكتفى «تختخ» بهذا الحديث، وأسرع عائداً إلى منزله، ووجد السيارة المعطلة ما زالت واقفة، والمتسولة العجوز ما زالت تستجدي ... دخل المنزل، ثم اتصل بالأصدقاء وقال لهم إن هناك تطورات هامة حدثت، وطلب منهم الحضور في المساء.

في السادسة مساءً كان الأصدقاء جميعاً قد اجتمعوا في غرفة العمليات في منزل «تختخ» ... وجلسوا يستمعون ... وقالت «نوسة»: نريد أن نرى الشطرنج، ومدّ «تختخ» يده يفتح الدولاب ... وخطر له في تلك اللحظة أن يكون أحد قد سرق الشطرنج الثمين، وأحسّ برعشة قوية تسري في بدنه ... ولكنه وجد الطرد مكانه ... وأخرج الصندوق الأسود الأنيق، ثم فتحه ومد يده وأخذ يخرج قطع الشطرنج، ووقف الأصدقاء جميعاً وقد أصابهم الدهول أمام التحفة التي لم يروا لها مثيلاً من قبل! كانت قطع الشطرنج تبرق كأنها منجم من الماس ... وأحسوا جميعاً أنهم في حلم، حتى إن «لوزة» هرشت ساقها حتى تتأكد أنها مستيقظة ...

قال «محب»: لا أظن أنني سأرى في حياتي شيئاً أجمل من هذا.

وقالت «نوسة»: إنه أجمل مما يُمكن أن يصل إليه أي خيال.

وقال «عاطف»: إن الملك يبدو ملكاً حقيقياً وليس مجرد قطعة شطرنج ... فكيف لا

يساوي شيئاً على الإطلاق؟

تختخ: هذا هو السؤال الذي لم نجد له إجابة.

نوسة: وماذا نفعل الآن؟

محب: أعتقد أن من واجبنا أن نُبلِّغ المفتش «سامي»!

تختخ: لقد قررت أن أنتظر إلى الصباح، فقد يحدث شيء يفسر اللغز ... ثم بعدها أتصل بالمفتش «سامي»!

وبعد أن قضى الأصدقاء نحو ساعتين يتحدثون خرجوا جميعاً، وكان الظلام قد بدأ يهبط على المعادي ... وعندما خرجوا وجد «تختخ» السيارة ما زالت واقفة ... أما المتسولة العجوز فكانت قد انتقلت إلى الرصيف الآخر.

وفجأة ترك «تختخ» الأصدقاء واتجه إلى حيث كانت المتسولة العجوز ... وكم كانت دهشة الأصدقاء عندما مد «تختخ» يده بسرعة وجذب شعرها الأبيض بقسوة أثارت استياء الأصدقاء، ولكن دهشتهم زادت عندما وجدوا المتسولة قد انتصبت واقفة مُحاولَة أن تجري في اتجاه السيارة، ولكن «تختخ» ألقي بنفسه عليها ... وعندما أسرع الأصدقاء ليتدخلوا كانت المتسولة العجوز قد ضربت «تختخ» لكمة قوية أسقطته على الأرض، ثم قفزت إلى السيارة التي كانت مكنُتها قد دارت ثم انطلقت كالبرق قبل أن يعرف الأصدقاء ماذا يجب أن يفعلوا!

أسرع الأصدقاء إلى نجدة «تختخ» ... الذي وقف ينفذ ثيابه، وقالت «لوزة» منزعة: ما هي الحكاية يا تختخ؟ كيف تضرب عجوزاً مسكينة؟

رد «تختخ» ... وهو يفرد ذراعيه: إنها ليست مُتسولة ... وليست عجوزاً ... بل ليست سيدة على الإطلاق، إنها الرجل الذي كان في فيلا «مراد» ليلة أمس ... إنه الرجل الذي يبحث عن ملك الشطرنج!

محب: وكيف عرفت؟

تختخ: من النادر أن يأتي هنا مُتسول ... ثم إنني رأيتهما تجلس هنا منذ عودتي بعد اجتماعنا ... ثم اقتربت منها ونظرت إلى عينيها ... إنك تستطيع أن تتنكر كما تشاء ... ولكن كيف تُخفي لون العينين؟! إن هذا مستحيل ... وعندما نظرتُ إلى عينيها ... أقصد عينيها ... أدركت على الفور الحقيقة.

لوزة: لقد أصبحت المسألة خطيرة ... وعلى كل حال أخذتُ رقم السيارة!

تختخ: قد يُفيدنا هذا ... ولكن المهم الآن أنهم يعرفون مكان الشطرنج ولن يترددوا في عمل أي شيء للحصول عليه!

خطة مدهشة

تمَّ كل شيء بسرعة البرق ... فلم يَستَغْرِق سوى ثوانٍ ... ووَجَدَ الأَصْدِقَاء الخمسة أنفسهم واقفين وقد واجهوا شيئاً جديداً ... فقد دخلت المغامرة في مرحلة العنف. وقالت «لوزة»: هل نتصل بالمفتش «سامي»؟ إنَّ معي رقم السيارة. رد «تختخ»: لا داعي للبحث عن السيارة فسوف يعودون!

نوسة: بعد كلِّ ما حدث؟

تختخ: نعم، إنهم مُتلهِّفون للحصول على الشطرنج. إنه تحفة نادرة تساوي الكثير؛ وربما كان يُخفي سرّاً أهم من قيمته المادية. محب: كيف؟

تختخ: لا تنس ما قاله «مراد» في رسالتيه الأولى والثانية ... حافظوا على ملك الشطرنج فليست له قيمة على الإطلاق ... إن هذا يعني شيئاً آخر أكثر من قيمته المادية. عاطف: وماذا نفعل الآن؟

تختخ: ننقل الشطرنج إلى مكان آخر، فهم لن يتورَّعوا عن العودة في أي وقت ... لقد كانوا يراقبوننا طول الوقت، وكانوا على استعداد للسطو علينا أو على الفيلة في أية لحظة، ولو كان ذلك في وضح النهار.

نوسة: وأين نُخفي الشطرنج؟ أفي منزلنا أم في منزل «عاطف»؟ تختخ: لا في هذا ولا في ذاك، إنني أعتقد أنهم يعرفون منازلنا جميعاً، أو سيعرفونها، لهذا يجبُ إخفاء الشطرنج في مكان آخر ... وحتى يأتي موعد نقله سيبقى في منزلنا، فتعالوا ندخل.

كان هذا الحوار يدور وهم وقوف أمام فيلا «تختخ» فدخلوا، وقالت «نوسة» وهم يدخلون: إنني لم أرَ «زنجر» اليوم ... أين هو؟

تختخ: إنه مريض ونائم في الكشك لا يغادره.

لوزة: مريض ولا أعلم؟ سأذهب لزيارته.

واتجه الأصدقاء جميعاً إلى الكشك الخشبي الصغير حيث كان «زنجر» نائماً، وقد بدا عليه الكسل، وبدت في عينيه نظرة حزينة، والتف الأصدقاء حوله يُرَبِّتُون عليه، ثم اتجهوا إلى ركن في الحديقة وجلسوا يتحدثون ... وكان الظلام قد هبط تماماً، وقال «تختخ»: إنني أشعر أننا مراقبون من كل مكان، وأتوقع أن تقع الليلة أحداث ضخمة.

لوزة: إنني خائفة يا «تختخ» ... فقد يُحاولون الاعتداء عليك!

محب: سأبقى معك.

عاطف: وأنا أيضاً!

نوسة: سنبقى جميعاً.

تختخ: شكراً لكم، إنني لست خائفاً منهم، ولكني أريد أن أوقع بهم!

وتحمس الأصدقاء، وصاح «محب»: نعم نوقع بهم، إننا جميعاً هنا وفي إمكاننا أن

نتغلب عليهم ونمنعهم من الحصول على الشطرنج!

لوزة: ليس أمامنا إلا المفتش «سامي»!

وفي تلك اللحظة ظهر والد «تختخ» ومعه والدته، وبعد أن تبادلوا التحية مع الأصدقاء دخل الوالد ليخرج سيارته من «الجراج»، وهنا قفز «تختخ» مسرعاً قبل أن يدرك الأصدقاء ماذا يقصد، وأسرع إلى غرفته وأخرج الطرد من الدولاب، ثم عاد مسرعاً إلى الحديقة والسيارة تتحرك خارجة من الجراج، وصاح بأبيه: دقيقة واحدة ... هناك شيء في حقيبة السيارة أريده الآن.

ومدّ يده فأخذ مفاتيح السيارة من والده، ثم فتح حقيبة السيارة الخلفية، ووضع الطرد وأغلقها، وأعاد المفاتيح إلى والده الذي انطلق بالسيارة وهو يقول له: سنقوم بزيارة لبعض الأصدقاء وقد نتأخر قليلاً.

فقال «تختخ»: تأخراً كما تشاءان.

وهز والد «تختخ» رأسه وهو يسمع هذه الجملة، ولكنه أطلق العنان للسيارة في حين عاد «تختخ» إلى الأصدقاء وهو يبتسم. كان الجراج بعيداً عن المكان الذي يجلس به الأصدقاء، فلم يروا ما فعل «تختخ»، ولكنهم عندما شاهدوه يبتسم أدركوا أن شيئاً قد حدث، وقبل أن يسألوه قال: لقد خرج الشطرنج الآن من المنزل ... ولن تعرف العصابة أين ذهب.

ثم روى لهم ما فعل، فوافقوا بحماس إلا «نوسة» التي قالت: ولكن هذا يُعرّض الشطرنج للضياع ... فهناك احتمال أن يكونوا — وهم يراقبوننا الآن — قد شاهدوا ما حدث، وهناك احتمال أن يسطوَّ لُصٌّ على السيارة وهذا يحدث كثيرًا هذه الأيام.

كانت كلمات «نوسة» كافية لإطفاء حماسهم، ولكن «تختخ» قال: إنني أرجح أنهم يراقبون الفيلا عن بعد ... وهم يتوقعون أن يخرج أحدنا أو كلنا بالشطرنج، فهم يتوقعون أن يرونا ونحن نخرج ... وهذا ما سيحدث بالضبط.

عاطف: هذه نكتة لم أقلها أنا ... لقد خرج الشطرنج، وهو الآن في السيارة ... فكيف تخرُج به مرة أخرى؟

تختخ: هذا هو اللغز الذي سأحله فورًا ... سوف نُعدُّ طردًا شبيهًا بالطرد الذي أرسله «مراد»، وهُم بالطبع لا يعرفون شكله ... ونخرج أمامهم.

لوزة: وسوف لا يتدبّدون في القفز علينا لاختطافه، أو اختطافنا.

تختخ: وهذا ما يجب أن ندبّر له خطة فورًا.

محب: يجب أن يشترك معنا المفتش «سامي» في هذه الخطة!

تختخ: فعلاً ... لقد طلب منا «مراد» ألا نبليغ الشرطة، ولكن قد يكون «مراد» نفسه في خطر، ولن نستطيع إنقاذه ... لا بد من تدخل رجال الشرطة!

لوزة: إنَّ رقم السيارة قد ينفعنا الآن!

أخذ «تختخ» ينظر إلى «لوزة» صامتًا ... كان واضحًا أنه يُفكّر في خطة ... وأن ذهنه يعمل بسرعة البرق ... فالوقت ضيق، ولا بد من الاستفادة من مراقبة العصابة إياهم ... وأخيرًا ضرب جبهته بيده وقال: لقد وجدتها!

قالها «عاطف» مازحًا: ما الذي وجدت؟ المحفظة؟

رد «تختخ»: وجدت الخطة ... سأخرج ومعي طرد يُشبه الطرد الذي أرسله «مراد» ستظن العصابة أنه الشطرنج، وستحاول أخذه مني، ولكنني سأتشبّث به، وتضطرُّ العصابة إلى اختطافي!

نوسة: وماذا تعني هذه الخطة؟ إنك ستُعرّض نفسك للخطر بدون جدوى!

تختخ: إنني لم أقل بقية الخطة بعد ... فسنبليغ المفتش «سامي» أولاً بخطتنا، وسنخبره برقم السيارة لمطاردها!

محب: ولكن قد لا يستطيع رجال الشرطة العثور على السيارة، أو قد لا تستطيع أنت أن تُفلت منهم في أثناء المطاردة فماذا يكون موقفك؟

تختخ: إن أيّ مغامرة لا بد أن يكون فيها قدر من المخاطرة. تعالوا نحدّث المفتش!
ودخل الأصدقاء إلى الفيلا، وطلبوا المفتش تليفونيًّا، ولحسن حظهم وجدوه في مكتبه،
وروى له «تختخ» القصة بسرعة، فقال المفتش معاتبًا، لماذا لم تخطرني قبل الآن؟!
تختخ: لقد طلب منّا «مراد» ألا نتصل برجال الشرطة، وقد وفينا بالوعد أطول فترة
ممكنة.

المفتش: إنني سأدخل تعديلًا على خطتك، فسوف أرسل لك أولًا جهازًا لا سلكيًّا صغيرًا
تضعه في جيبك ... وسيرشدنا هذا الجهاز إلى مكانك إذا أخفقنا في تتبع السيارة!
تختخ: ومتى تُرسله!
المفتش: سأقوم الآن بسيارات اللاسلكي إلى المعادي ... وعليك أن تُرسل «محب» إلى
محطة المعادي، ليقابلنا هناك ويأخذ الجهاز، ويعود به. وعليك أن تخرج بعد ساعة ومعك
الطرد المزيف!
تختخ: اتفقنا!

وروى «تختخ» للأصدقاء اتفاقه مع المفتش، فقام «محب» متجهًا إلى المحطة، في حين
انهمك بقية الأصدقاء في إعداد الطرد المزيف. واستطاع «تختخ» بما عرف من قدرة هائلة
على التفكير أن يعد طردًا مشابهًا تمامًا للطرد الذي به الشطرنج برغم أن العصابة لم تكن
قد رأت الطرد ... لكنه أراد أن يكون كل شيء متقنًا حتى لا يترك فرصة للإخفاق.
وبعد نصف ساعة تقريبًا كان الطرد قد أُعدَّ ... وجلس الأصدقاء في انتظار عودة
«محب» بجهاز اللاسلكي الصغير، ومضى الوقت بدون أن يعود «محب»، وبدأ الأصدقاء
يقلقون ... ونظر «تختخ» إلى ساعته وقال: لقد كان من المفروض أن يعود منذ ربع ساعة
... ماذا حدث؟

ولم يكد «تختخ» ينتهي من جملته حتى دق جرس التليفون، ورفع «تختخ» السماعه
ووضعها على أذنه، والأصدقاء جميعًا ينظرون إليه ... وعرفوا فورًا من ملامح وجهه التي
تغيرت أن شيئًا خطيرًا قد حدث ... لم يكن يتحدث ... كان يستمع فقط، ثم وضع السماعه
والتفت إليهم وقال: لقد خطفوا «محب»! صاحت «نوسة»: خطفوه؟!

تختخ: نعم، لقد راقبوه وهو يخرج، وساروا خلفه حتى سيارة اللاسلكي، وشاهدوه
وهو يأخذ الجهاز من المفتش «سامي»، ثم تتبعوه في عودته، وخطفوه، وعرفوا أننا على
اتصال برجال الشرطة ... وقد طلبوا أن نجهز الشطرنج حتى يتصلوا بنا، ليحدّدوا الوقت
والمكان لتسليم الشطرنج ... لقد كنا نُعدُّ لهم فخًا، ولكنهم أوقعونا نحن في الفخ!

جلس الأصدقاء صامتين ... لقد كانت المفاجأة أكبر من أن يتوقَّعوها ... فقد وقع «محب» في يد العصابة. ولم يعد أمامهم إلا أن يسلموا الشرطنج ... وهم مع استعدادهم لتسليمه لا يعرفون أين هو الآن ... فهو في حقيبة سيارة والد «تختخ»، وهم لا يعرفون أين السيارة الآن.

ونظر «تختخ» إلى ساعته ... لقد تحركت سيارات الشرطة الآن في طريقها لكي تحاصر العصابة ... ولكن العصابة أفلتت!

كان الموقف باعثًا على اليأس، ولم يكن في استطاعة الأصدقاء أن يفعلوا شيئاً ... حتى المفتش «سامي» لا يعرفون أين توجد سيارته الآن ... وفجأة قالت «لوزة»: لقد خطفوا «محب» ومعه جهاز اللاسلكي ... ولعلهم لم يروا الجهاز، وقد يكون باستطاعة المفتش «سامي» وجاله أن يتبعوا العصابة!

تختخ: لقد أوضحتُ لكم أنهم شاهدوا الجهاز ... ولا بد أنهم حطموه بمجرّد أن خطفوا «محب» ... فلا أملَ لنا في هذه الناحية ... وليس علينا إلا أن ننتظر تطوّر الحوادث. جلس الأصدقاء ساهمين ... لقد أصبحوا عاجزين عن اتخاذ أية خطوة لإنقاذ «محب» ... وهم لا يعرفون ماذا يحدث له الآن. هل يتعرّض للتعذيب من العصابة ليعرفوا منه مكان الشرطنج؟! وهل ينكر «محب» ويتحمل أو يعترف؟! وإذا اعترف، فهل يتعرض والد «تختخ» ووالدته للمخاطر؟! كانت هذه الخواطر تدور بأذهانهم جميعاً بدون أن يتبادلوا كلمة واحدة ... وفي الصمت الذي ران عليهم دق جرس التليفون. وكان المتحدث هو المفتش «سامي» الذي قال: ماذا حدث؟ لماذا لم تخرج حتى الآن يا «تختخ»؟

رد «تختخ»: لقد حدث ما لم يكن في الحساب ... إن العصابة اختطفّت «محب» بعد أن أخذ منكم جهاز التسجيل ... وحطمت الجهاز!

المفتش: وكيف عرفت هذه المعلومات؟

تختخ: لقد اتصلت بنا العصابة منذ فترة، وأبلغتني بكل هذا، وطلبوا مني تجهيز الشرطنج لحين الاتصال بي مرة أخرى، وإلا تعرّض «محب» للخطر!

المفتش: لقد تصرّفوا بأسرع مما نتوقّع ... ولكن على كل حال سنصل إلى العصابة عند تسلمها الشرطنج!

تختخ: هنا مشكلة!

المفتش: ما هي؟

تختخ: إن الشرطنج ليس معنا ... لقد نسيْتُ أن أقول لك إنني أخفيته في حقيبة سيارة أبي، وقد خرج أبي وأمي معاً بالسيارة ولا نعرف أين هي الآن!

في الوقت المناسب

انقضى جزء من الليل بدون أن تُعاود العصابة الاتصال. وكان المفتش «سامي» قد حصل على رقم السيارة الذي التقطته «لوزة»، وطلب من رجاله ضبط السيارة التي تحمله في أي مكان. وبعد فترة انصرف الأصدقاء، وبقي «تختخ» والمفتش معًا، فقال المفتش: أعتقد أنهم لن يتصلوا بك الليلة، وعلى كل حال سأضع تليفونك تحت المراقبة حتى نسجل كل المكالمات التي تصل إليك ونعرف من أين تأتي ... وسأُنصِرِف الآن، وسنكون على اتصال دائم.

وانصرف المفتش، وبقي «تختخ» وحيدًا يفكر ... لم يُعد الشطرنج هو ما يشغل باله ولكن صديقه «محب» ... لقد اتفق مع «نوسة» أن تقول في منزلهم إن «محب» سيبقى الليلة عنده ... وعلى هذا يجب أن يكون «محب» موجودًا في الصباح ... ولكن كيف؟ وفي هذه اللحظة حدث ما لم يكن في الحسبان ... دقَّ جرس التليفون، فرفع السماعه وسمع صوت آخر إنسان ممكن أن يتحدث إليه، صوت الأستاذ «مراد» الذي قال: اسمع يا «توفيق» ... إنني أرجوك أن تُسلم الشطرنج لمن أرسله لك ... لقد أعطيتك الشطرنج كوديعة تحتفظ بها عندك، والآن أريد أن أستردها!

لم يعرف «تختخ» بماذا يريد، فظلَّ لحظات صامتًا، وسمع «مراد» يقول له: هل تسمعي؟ أنا «مراد»! رد «تختخ» بصعوبة: نعم ... نعم ... إنني أسمعك، وأعرف أنك «مراد» ولكن الحقيقة أن الشطرنج ليس معي!

مراد: كيف؟

تختخ: ألم تُعرف من «محب» ... أليس معك؟

مراد: نعم، «محب» معي، لقد خطفوه كما خطفوني ... ولكنه رفض أن يقول أين الشطرنج ... وقد عرفوا أنك أبلغت الشرطة، وأن الوقت ليس في مصلحتهم، فسيصرفون بسرعة، فلا بد أن تعيد الشطرنج الليلة!

كان صوت «مراد» يبدو فيه الإجهاد والتعب، وتأكد «تختخ» أنه تعرّض لتعذيب شديد، وعاد «مراد» يقول: لا بد أن نحصل على الشطرنج أينما كان ... ثم أضاف بصوت حزين: من أجل خاطر «محب»!

ووقع قلب «تختخ» في قدميه ... فلا بد أن «محب» يتعرض لخطر شديد، حتى إن «مراد» خضع لتهديد العصابة، وقبل أن يتحدث إليه تليفونيا. عاد «مراد» يقول: ألا تسمعنني؟

رد «تختخ»: إنني أسمعك، ولكن الشطرنج في مكان لا أعرفه.

مراد: كيف؟

تختخ: إنه في سيارة أبي ... أخفيته في حقيبة السيارة وقد خرج أبي ولم يعد حتى الآن!

مراد: ابحث عنه حيث يكون ... وأرجوك ألا تبلغ الشرطة بهذه الحادثة، ولا تجعلهم يتخذون أية إجراءات ... من أجل خاطر «محب»!

وسكت «مراد» لحظات كان واضحا خلالها أنه يتحدث إلى شخص بجانبه، ثم عاد يقول: سأصل بك كل نصف ساعة حتى يكون والدك قد عاد!

تختخ: أرجوك ... أريد أن أتحدث مع «محب»!

وسمع «تختخ» أصواتا تتحدث، ثم سمع صوت السماعة وهي توضع في مكانها، وأحس بالخوف يجتاحه ... إن «محب» في خطر شديد ... والعصابة مصرّة على الحصول على الشطرنج، وهو لا يعرف أين الشطرنج الآن! لم تمض سوى ثوانٍ قليلة حتى دق جرس التليفون مرة أخرى ... وكان المتحدث في هذه المرة المفتش «سامي» الذي قال بسرعة: لقد استمعنا إلى المكالمات وسنحاول الآن متابعة مكانها ... وإن كنت أرجح أن العصابة ستغيّر مكانها فوراً ... المهم الآن ... ابحث عن والدك عند أصدقائه بالتليفون، ثم اتصل بي وقل لي أين هو ... فإذا اتصلت بك العصابة فقل لهم على مكانه أيضاً ... ودع الباقي لي.

تختخ: ولكن «محب» ...

المفتش: لقد استمعت إلى المكالمات جيّداً، وأعرف أن «محب» في خطر شديد. فنقذ التعليمات، وسيتم كل شيء على ما يرام.

أسرع «تختخ» إلى غرفة مكتب والده، وأخذ أجندة التليفونات التي يحتفظ فيها والده بأرقام تليفونات أصدقائه، وأسرع إلى التليفون ... كانت هناك عشرات الأرقام والأسماء، ولكن «تختخ» لم ييئس، وبدأ بسرعة يضرب رقماً ويسأل بسرعة، وعندما يتلقى الرد يقطع المكالمات ويطلب رقماً آخر ... كان يتصرف بسرعة محمومة ... فالتواني لها قيمتها ... وفي حوالي ربع الساعة كان قد تحدث مع أكثر من اثني عشر صديقاً، ثم سمع من الثالث عشر شيئاً جعل قلبه يدق سريعاً ... لقد كان من أعز أصدقاء والده، وقال له: إنني أظن أن والدك يسهر الليلة عند الأستاذ «عبد القادر»، في عمارة البرج بالزمالك، ورقم تليفونه هو ٨٠١٥٠٥.

وشكره «تختخ» بحرارة، ثم طلب الرقم، ولكنه للأسف كان مشغولاً ... وطلبه مرة ومرة ومرات، وفي كل مرة كان الرقم مشغولاً. وأحس «تختخ» أنه سينفجر من الغيظ، ووضع السماعة ... ولم يكد يضعها حتى دق جرس التليفون، وكم كانت دهشته حين وجد والده هو المتحدث، وقال له: لقد كنت أتحدث مع أحد أصدقائي الآن، وعرفت منه أنك كنت تسأل عني فطلبتك، ولكن التليفون كان مشغولاً.

«تختخ» بسرعة: لا وقت للشرح يا أبي ... وآسف لأنني سأشركك معي في مغامرة.
الأب: ماذا؟

تختخ: لقد وضعت شيئاً في حقيبة سيارتك ... وسيأتي شخص ليطلبه منك فأعطه إياه بدون نقاش!

الأب: عن أي شيء تتحدث ... إنني لا أفهم شيئاً!

تختخ: أرجوك يا أبي ... انزل من الآن، وقف بجوار سيارتك، وسلم الطرد الذي تجده في حقيبة السيارة إلى أي إنسان يتقدم منك ... إلى اللقاء يا أبي!

ووضع «تختخ» السماعة وقد سال عرقه غزيراً، ثم تذكر أنه لا بد أن يتصل فوراً بالمفتش «سامي»، وهكذا أسرع يتصل به، وقال له إن والده في عمارة البرج بالزمالك ... وسيارته ماركة نصر «١٣٠٠» ... ورقمها «٢٦٢١٥»، ووضع السماعة ... كان نصف الساعة قد انقضى ولم يبق سوى ثوان قليلة ... ودق الجرس مرة أخرى، وكان المتحدث هو «مراد» فقال له «تختخ»: سيارة أبي تقف أمام عمارة البرج بالزمالك، وهي ماركة نصر «١٣٠٠»، رقم «٢٦٢١٥» وسيسلم أبي الطرد الذي به الشطرنج لأي إنسان يطلبه منه.

مراد: إياك أن تكون قد اتصلت بالشرطة، وإلا أوقعتنني أنا و«محب» في خطر شديد. لم تكن أعصاب «تختخ» تحتمل مزيداً من الكلام، وهكذا وضع السماعة بدون كلمة واحدة، ثم أخرج منديله، وأخذ يجفف عرقه ... كانت هذه أول مغامرة لا يشترك في نهايتها

... وبعيداً عنه تجري المغامرة، وفيها «محب» يتعرض للخطر ... وفيها الشطرنج الثمين، وفيها لغز لم يُحل ... لغز ملك الشطرنج الذي ليس له قيمة على الإطلاق!

ونظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت الحادية عشرة ليلاً ... وقام ففتح الثلاجة وأخرج زجاجة باردة تجرّعها مرة واحدة، ثم خرج إلى الشرفة ووقف يحدق إلى الشوارع والناس ... كان يطير بتصوراته وأفكاره إلى حيث تجري أحداث المغامرة في هذه اللحظات ... ماذا يفعل والده؟ ماذا يفعل المفتش «سامي»؟ ماذا تفعل العصابة؟ وماذا يفعل «مراد» و«محب»؟ وكيف تنتهي هذه المغامرة؟ ومرت الدقائق بطيئة في ساعة «تختخ» ... أما حيث كانت تقف سيارة والد «تختخ»، فقد كانت الدقائق تمر بسرعة البرق ... فقد نزل والد «تختخ» في غاية الدهشة ووقف بجوار السيارة ولم يمض سوى دقائق قليلة حتى اقترب منه رجل يقول: هل معك الشطرنج؟

لم يردّ والد «تختخ»، ولكنه تقدم وفتح حقيبة سيارته، ثم مدّ يده إلى الطرد الثمين، وسلمه إلى الرجل بدون أن يحدث شيء ... حمل الرجل الطرد بعناية شديدة، ثم وقف على رصيف الشارع الذي كان يزدحم بالسيارات ... وانتظر لحظات ثم عبر الشارع واتجه إلى أمام سنترال الزمالك حيث كانت تقف سيارة من أحدث طراز، وفتح باب السيارة ودخل، وسمع صوتاً من الداخل يقول: الشطرنج!

ردّ الرجل في صوت مبهتج: أخيراً ... الشطرنج ... هيا بسرعة إلى الإسكندرية!

واتجهت السيارة إلى جسر «كوبري» الزمالك ... وكانت إشارة المرور مفتوحة، وأخذت السيارة تقترب من الجسر، ومن بداخلها يتبادلون الأحاديث المبهجة بعد أن فتحوا الطرد وتأكدوا مما فيه ... وفي هذه اللحظة والسيارة تقترب من «الكوبري» تلقى شرطي المرور إشارة من رجل كان يقف قريباً منه، فمدّ يده وأغلق الإشارة الخضراء ... ولع الضوء الأحمر ... ثم برزت سيارة قادمة من الكورنيش ووقفت بالعرض أمام السيارة، فقال أحد ركابها: من هذا السائق المجنون الذي وقف أمامنا بعرض سيارته؟! ولم يكن هذا السائق مجنوناً ... لقد كان أحد رجال الشرطة ... ومن الخلف تقدمت سيارة أخرى، ثم خرج من تحت الأشجار رجال يتحركون في صمت ... وأطبقوا على السيارة، وفتح أحدهم بابها في هدوء، وأطلّ بوجهه داخل السيارة قائلاً: لا داعي لأيّ تصرف ... إنكم محاصرون! ولم يكن هذا الرجل إلا المفتش «سامي»!

فتح أحد الرجال باب السيارة الآخر وحاول القفز إلى الشارع ومعه الطرد ولكن من السيارة التي كانت بجانبه برز ثلاثة رجال أمسكوه!

وهكذا وقعت العصابة ... لقد تركهم المفتش «سامي» يأخذون الطرد ويركبون السيارة بعد أن أعد لهم كميناً محكماً من السيارات والرجال لا يُمكن أن يفلتوا منه ... وهكذا استسلموا.

قال المفتش: والآن ... أين «محب»؟

ولم يكن أمام رجال العصابة إلا أن يُرشدوه إلى المكان ... وطارت السيارات إلى حيث كان «محب» و«مراد» معاً محبوسين في مكان بعيد.

عندما دقت الساعة معلنة منتصف الليل كانت هناك سيارة تشق طريقها بسرعة إلى منزل «تختخ» ... كان بها المفتش «سامي» ... و«محب» ... و«مراد»، وعندما توقفت أمام منزل «تختخ» أسرع يجري إليهم فاتحاً ذراعيه لـ «محب». وفي غرفة الصالون كان والد «تختخ» والدة المفتش «سامي» و«محب» و«تختخ» يجلسون يستمعون إلى قصة ملك الشطرنج من «مراد» ... ذلك الملك الذي ليست له قيمة على الإطلاق!

قال «مراد»: عشت فترة من حياتي بالخارج ... وكنت من هواة التحف الثمينة ... أشترتها وأحضرها إلى مصر ... وذات يوم وأنا في «أمستردام» بهولندا — وهي أكبر مركز لتجارة الماس في العالم — سمعت لأول مرة عن هذا الشطرنج ... وكان الناس يتحدثون عنه كأسطورة من الأساطير ... مثل خاتم الملك سليمان ... أو كنز القرصان «مورجان»، وأثارتني قصة هذا الشطرنج، وبدأت أبحث عنه ... وكانت عصابة من أكبر عصابات أمريكا تبحث عنه أيضاً ... وذات يوم عثرت في مكتبة قديمة على كتاب عن أهم قطع الشطرنج في العالم ... كتاب نادر ممزق ... وعرفت من هذا الكتاب أن هذا الشطرنج صنعه جواهرجي لأحد أمراء أوروبا منذ نحو ٣٠٠ سنة، وأن هذا الأمير كان يخفي ثروته في مكان مجهول، ثم دهن الشطرنج كله بدهان حتى لا يعرف قيمته أحد، ورسم لمكان ثروته خريطة أخفاها في ملك الشطرنج الأسود.

وسكت «مراد» والعيون كلها متعلقة به، ثم مضى يقول: ومات الأمير فجأة، ولا يعرف أحد كيف تسرب السر بعد ذلك عن كنز الأمير ... ولكن عدداً كبيراً من الناس اهتم بالحصول على هذا الشطرنج — ليس لقيمته كمجموعة نادرة من القطع — ولكن للخريطة التي في ملك الشطرنج ... وظل الشطرنج مُختفياً لا أحد يعرف مكانه.

وتوقف «مراد» حتى أخذ رشفة من الشاي، ثم عاد إلى الحديث: واستطعت عن طريق هذا الكتاب أن أصل إلى الشطرنج، وأحصل عليه بثمن بخس، فلم يكن الذي يملكه يعرف قيمته، فقد كان مدهوناً كما قلت لكم، ويبدو شطرنجاً عادياً.

وهنا سأله «تختخ»: وهل عثرت على خريطة الكنز؟

مراد: لا ... لقد فتحت ملك الشطرنج الأسود فلم أجد به الخريطة ... وكانت هناك عصابة كما قلت لكم تُطارِدي للحصول على الشطرنج، والحصول بالتالي على خريطة الكنز، ولكنني استطعت الوصول به سائماً إلى القاهرة، واحتفظت به عندي في القصر، ثم بدأت أحسُّ أن العصابة تطاردني ... وأخفيت، وكانوا قد دسُّوا عليَّ خادماً خائناً هو الذي مهَّد لهم خطفي.

وبعد لحظات من الصمت مضى «مراد» يقول: كنت على استعداد لأن أبيعهم لهم ... ولكنني كنت واثقاً أنهم لن يصدقوني إذا قلت إنني لم أجد الخريطة ... وكنت أخشى أن يقتلوني إذا عرّفوا الحقيقة، وهكذا أرسلت الشطرنج مع البستاني لكم قبل أن يحدث شيء حتى لا يعثروا عليه في القصر مهما بحثوا.

محب: وهل تعرف أين ذهبَت الخريطة؟

مراد: أبداً ... وبدونها يُصبح الشطرنج مجموعة من القطع الثمينة، ويصبح ملك الشطرنج لا قيمة له على الإطلاق بالنسبة للعصابة ... إنها عصابة ضخمة تمتد فروعها في أوروبا وأمريكا، وتسرق وتتعامل كل سنة في ملايين الجنيهات ... وهذا الشطرنج مهما كانت قيمته — ولنقل إنه يساوي مثلاً خمسة آلاف جنيه — لا يهْمُ عصابة من هذا النوع ... إن ما يهمهم حقاً هو الخريطة التي تركها الأمير ... هذه الخريطة التي لو وُجدت لاستطاعوا الوصول إلى كنز الأمير ... والذي لا بد أنه يساوي الملايين ... لهذا عندما ضاعت الخريطة أصبح ملك الشطرنج لا قيمة له — بالنسبة للعصابة — على الإطلاق!

